الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

شعر الطّبيعة عند ابن خفاجة الأندلسي
- دراسة موضوعية فنيّة -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي
تخصص: الأدب العربي

إعداد الطلبة:
- نموشي سهام
- ثاير نـوال

إشراف الأستاذ:
الدكتور محمّد زلاقي

السنة الجامعية:2012/2011

دُعـاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا و لا باليأس إذا

أخفقنا ،و ذكرنا دائما أن الإخفاق هو التجربة

التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا و إذا

أعطيتنا

تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

يارب إذا أسأنا إلى الناس فامنحنا شجاعة العفو

آمين يارب العالمين

شكر و عرفان

إن أول الحمد لله سبحانه و تعالى أن وفقنا إلى إتمام هذا العمل و لما كان من دستور الحياة الفاضلة أن يشكر من أعان ، و يكرم من أحسن تتام الإحسان ، فإننا نتقدم بجزيل الشكر و تمام الامتنان إلى أستاذنا المشرف الدكتور محمد زلاقي– لتفضله بقبول الإشراف على هذا البحث و للجهد الصادق الذي بذله ، و للملاحظات القيمة التي أبداها ، فكانت العوامل خير عون فيما كنا نلاقيه من صعوبات.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بخالص العبارات الشكر و التقدير لكل من قدموا لنا يد المساعدة في انجاز هذا العمل.

و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المقدمـــــة

مقدمة :

البحث في أي موضوع يختاره الباحث سواءٌ أكان أدبيا أم علميّا، لابد أن تتوافر فيه جملة من الشّروط التي تكشف عن أهمّيته، و مدى صلاحيته، و عن الآفاق المتوّخاة لإنجازه، و ذلك حتىّ يتميّز الموضوع المختار عن غيره من الموضوعات، و عن سائر الأبحاث السّابقة التي قد تكون أنجزت للغرض نفسه.

و في سبيل ذلك يتوّجب على الباحث الإلمام بكل جوانب موضوعه، و ما يحيط به من ملابسات للتأكّد من أّنه لم يكتب فيه أصلا، وأنّ من كتب فيه قد نحا منحى آخر غير الذي يهدف إليه الباحث.

لقد وهب الله الأندلس طبيعة ساحرة ووافرة جمالا، جبالها الخضراء، و سهولها الجميلة، و كان كلّ ذلك أثر في تفجير مواهب الشّعراء، ومن هنا نجد تعلّق الأندلسيين بها، يسرحون النظر في خمائلها، و أخد الشعراء ينظمون دررا في وصف رياضها و مباهج جنانها.

و لم يكن جمال الطبيعة في الأندلس هو الذي ساعد على ازدهار شعر الطبيعة هذا، بل إن حياة المجتمع الأندلسي أثّرت أيضا في هذا الشّعر، الذي يمثّل تعلّق الشعراء الأندلسيين ببيئتهم، و تفضيلها على غيرها من البيئات الأخرى.

و لكون الشّعر يصف طبيعة الأندلس، فهم يصوّرونها عن طريق الطّبيعة كما أبدعها اللّه في الحقول، و الرّياض، و الأنهار، و الجبال، و السّماء، و النجوم. و يصفونها كما صوّرها الفن لديهم في القصور، و المساجد، و البرك، و الأحواض و غيرها.

–فابن خفاجة– شاعر الطبيعة و مصوّرها، قد امتلأت نفسه و عينه من جمال الطّبيعة، و جمال الحياة، فراح يصوّر هذا الجمال في صورٍ مختلفة، فانتقى الأساليب الصّافية، و الألوان الزاهية، و دبجها بزخرف بديع، ووشّاها بكثير من المجاز و التشبيه فأطلق عليه لقب شاعر الطبيعة لكثرت ما نظم ضمن قصائده عن الطبيعة و جمالها في الأندلس، فهو ابن الأندلس بعامّة، و ابن الطبيعة بخاصّة، لقد جعلت الطّبيعة له ضيعة في وديان بلنسيّة أبعدته عن حياة التكسّب، فضمنت له عيشة راضية بفنه، فوقف في محرابها يتغنَّى بأجمل الألحان غناءا خالصا للطبيعة.

من هنا لفت انتباهنا هذا الشّاعر و أثار اهتمامنا فوقع اختيارنا على موضوع: «شعر الطّبيعة عند ابن خفاجة الأندلسي»، من الأسباب التي دفعتنا إلى اختياره.

إنّ ابن خفاجة يعد فعلا ابن الطّبيعة فنيّا: استطاع أنّ يحقّق حضورا متميزا و ذلك من خلال النّتاج الشعري المكثف الذي مارسه و ظل يمارسه داخل الأنس و خارجها، و هو ما دفعنا إلى الإقبال على دراسة نتاجه الشعري في الطبيعة.

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي في بحثنا، و قمنا بدراسته دراسة موضوعية فنية، و قد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون منهجيا في مدخل و أربعة فصول و خاتمة.

-تضمن الفصل الأول بعنوان الطبيعة في شعر الوصف عرضنا فيه بعض النماذج التي برع ابن خفاجة في وصفها و تصويرها، حتّى أن قارئ هذا الشعر يستلهم الطبيعة بجمالها و كأنه يراها أمامه، حيث تناولنا وصف الرياض ثم وصف الجبل، فوصف الطّبيعة في رحاب الثلج رغم أنّه يبقى ما قبل في الثلجيات أقل ممّا قبل في الرّوضيات و المائيات، ثمّ وصف القمر، و أخيرا، وصف الأنهار التي كانت ترفد الأرض بالخصب و العطاء، و اتخذ الأندلسيين من ضفافها مراتع للمتعة و اللّهو، و من صفحاتها ساحات تمرح عليها زوارقهم و شراعهم.

-أما الفصل الثاني الذي عنوانه "الطّبيعة في شعر ابن خفاجة المدحي" فقدمنا فيه نماذج من هذا النوع ثم يأتي الفصل الثالث بعنوان " الغزل و الطبيعة " عرضنا فيه بعض النماذج من الغزل الممزوج بالطبيعة، من ماء، و خضرة و الأزاهير و الريح، و اللّيل و الصبح.

و أخيرا الفصل الرابع بعنوان "خصائص شعره في وصف الطّبيعة" و ختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت حوصلة النتائج التي توصّلنا إليها.

و قد اعتمدنا في هذا البحث على العديد من المصادر و المراجع، و أهم مصدر هو ديوان ابن خفاجة الذي أفادنا بالكثير، كذلك أهم مصدر هو كتاب " في الأدب الأندلسي "لفوزي عيسى.

وقد واجهنا في هذا البحث بعض الصّعوبات منها نقص المراجع في مكتبة المركز وضيق الوقت المخصص لإنجاز العمل، و يبقى هذا العمل ناقصا بحاجة إلى مزيد من الدّراسات و الإضاءات الأخرى حول (شعر الطّبيعة عند ابن خفاجة الأندلسي)

و يفرض علينا هذا البحث أن نتوجّه بباقة شكر و امتنان للأستاذ المشرف: الدكتور محمّد زلاقي، لتفضّله بقبول الإشراف على هذا البحث، و للجهد الصّادق الذي بذله، و للملاحظات القيّمة التي أبداها حيث أمدّنا بكثير من التوجيهات و النّصائح و الإرشادات، و نفث في روحنا الكثير من التحفيز لاسيما في الأوقات التي شعرنا فيها بالانكسار و التدبدب .

و الأكيد أنّ هذا البحث لا يشكّل سوى لبنة تضاف إلى أخرى سابقة لها، و لعلّها تكون أرضية لبناء دراسات أخرى خاصة و الثقافة العربية أحوج ما تكون إلى دراسات معمقة في هذا المجال فهو لا يزال ثريا، و البحث فيه لا ينفكّ شيّقا و مثيرا.

مدخـل :

حبا الله الأندلس طبيعة ساحرة خلابة، فأحاط بها البحار و كثرة الأنهار، و انتشرت الرّياض و الحدائق و المنتزهات، و فتنت هذه الطبيعة الجميلة شعراء الأندلس، فتعلقوا بها و برعوا في وصفها في لوحات شعرية أخّادة.[1]

فالبيئة الأندلسية تنعم بروعة آسرة، تصطلع بظلال وارفة و ألوان ساحرة، و انعكس ذلك في الشعر الأندلسي بشكل عام، فشعراء الأندلس " توفروا على وصف الطّبيعة و أكثروا من التغني بمناظرها الجميلة و عبّروا عن كلفهم بها و تفننوا في هذا المجال تفننا واسعا حتى صار وصفهم للطبيعة من أهم الموضوعات التي طرقوها، وأحرزوا قصب السّبق فيها على المشاركة فالأندلس أقرب إلى لوحة فنية ناطقة " [2]

و لقد شاع هذا الفن لدى الأندلسيين و توسّعوا فيه و بلغ ولعهم بالطبيعة و الاستعانة بها في أغراضهم الشعرية حدا يصعب معه على القارئ أن يدري إذا كان الشعراء يتحدثون عن الطبيعة أم كانت الطبيعة تتحدث عنهم؟

و يعكس شعر الطّبيعة في هذا العصر شدّة ارتباط الأندلسيين ببيئتهم، و تعلقهم بمناظر الجمال في بلادهم فالشاعر لا يفتأ، يتغنى بحب الأندلس و يفيض في وصف محاسنها و يعبر عن التصاقه بها و يفضّلها عن سائر البلدان «و كان هذا الاتجاه إلى الالتصاق بالبيئة الأندلسية انعكاسا للشعور الوطني في نفوس الأندلسيين و تعبيرا عن نزعة أندلسية قوية، تأصلت في نفوس الشعراء و ظهرت في شعرهم بشكل واضح»[3] و لسنا نريد أن نتوسع في الحديث عن شعر الطّبيعة، لكن ينبغي أن نحدد مفهوم شعر الطبيعة، و نقف من ذلك عند شعر ابن خفاجة لمعرفة مدى تحقق ذلك المفهوم في شعره.

---

(1) ينظر :فوزي عيسى، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع.2009 ص11.

(2) ينظر:فوزي عيسى، في الشعر الأندلسيي عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الإسكندرية. 2007 ص127.

(3) المرجع نفسه، ص ن.

يقول جودت الركابي عن شعر الطبيعة: «هو الشعر الذي يمثل الطبيعة و بعض ما اشتملت عليه في جو طبيعي يزيده جمالا خيال الشاعر و تتمثل فيه نفسه المرهفة، و حبه لها و استغراقه لمفاتنها»[1]

(1) جودت الركابي الطبيعة في الشعر الأندلسي، طبعة 2 مطبعة الشرقي بدمشق،1970م ص126.

الفصل الأول: الطبيعة في شعر الوصف

- وصف الطبيعة في شعره

أ –وصف الرياض

ب وصف الجبل

ج–وصف الطبيعة في رحاب الثلج

د– وصف القمر

هـ– وصف الأنهار

الطبيعة في شعر الوصف :

ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأندلسية ينطلق في وصف الطبيعة من إحساس مرهف بجمالها أولا و من رغبة كامنة لديه و لدى بعض الشعراء الأندلسيين في التميز و تكوين شخصية أندلسية لها أغراضها الشعرية الخاصة التي تعكس مجتمعا ووسطا جديدين، فالشاعر الأندلسي يسعى دوما نحو التجديد و يحاول تصميم أثواب جديدة خاصة بالشعر الأندلسي يسعى دوما سعيا لإثبات الذات و تحقيقها فكأنه يريد زرع شجرة أندلسية متميزة وسط تخيّل مشرقي.

واختصاص ابن خفاجة بوصف الطبيعة هو مذهبه العام حتى أنه عرف بجنان الأندلس نسبة إلى وصفه للجنان.

و لا يكاد المرء يجد خلاف هذا الرأي عند من كتب عن ابن خفاجة عدا شوقي ضيف الذي فكر " أن أكثر ديوانه يدور في المدح" [1]

و يبدو أن شوقي ضيف نفسه قد غير رأيه في كتاب "تال"

يقول فيه «و أهم موضوع استفد أكثر شعره و اشتهر به وصف الطبيعة»[2] و ابن خفاجة شاعر الطبيعة، وصف بلاده بما لها من طبيعة بهية و مناظر خلابة، و لم يقتصر على مجرد وصفها و التغني بجمالها بل «لقد سكنت الطبيعة نفسه فعبر عنها شعره في أغراضه المختلفة من وصف أولا، و من غزل و مديح ومجالس خمر و رثاء ثانيا»[3]

ولنعرف إن كان حقا شاعر طبيعة أم أنه يستعين بالطبيعة في زيادة الزهو و الجمالية في نتاجه، إنه بحكم النقّاد و مؤرّخي الأدب العربي يعتبر من شعراء الطّبيعة «يتفاعل مع الطّبيعة

(1)–شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في النثر العربي د ط، القاهرة دار المعارف 1960 ص445.
(2)–شوقي ضيف،عصر الدول و الإمارات في الأندلس،د.ط،دار المعارف 1983–ص–319
(3)–محمد رضوان الداية، ابن خفاجة،ط1 دار قنيسية للنشر و التوزيع 1972 ص–22–

الأندلسية و يتأثر بها،فيشاطرها همومه و أشجانه،و يقاسمها مشاعره التي تفيض حبا و حنانا، فاستعان بصورها و قاموسها في شتى أغراضه الشعرية»[1]

(1)–أحمد الزيات ،تاريخ الادب العربي، ط26، بيروت،دار الثقافة ص32.

–وصف الطبيعة في شعره:

الوصف هو الغالب على شعر ابن خفاجة، فقد كانت بلدته من أجمل بقاع الأندلس و أخصبها تربة، فنشأ شاعرنا مولعا بجمال الطّبيعة: «فشعره هو شعر الطّبيعة الزاهية النابضة بالحياة، هو شعر الجنان و المنتزهات، يصورها تصويرا دقيقا حافلا بالرقة و الين و الأصباغ و يسير من نعومة التنسيم، و عبق الرياحين على توقيع الأغصان المتمايلة و الأنوار المتهادية، و المياه المترقرقة، و الأطيار المغرّدة، فترى الطبيعة عالقة في كل أغراضه، فإذا مدح ابتدأ بالوصف و انتزع من الطبيعة صورة، و إذا رثي مزج البكاء بالوصف مزجا بليغا فتصبح دموع الباكين جداول ماء، و اهتزاز إحساسهم كاهتزاز الغصن الندي و أنينهم كصوت قبره نائحة»[1]

و يعد أشهر شعراء الأندلس في موضوع وصف الطبيعة و لعل شعره يفيض بالمزايا التي تجعله في مقدمة شعراء العرب القدامى في هذا الغرض فقد أكثر في وصف الطبيعة الأندلسية و وصل بين الطبيعة على اختلاف أنواعها معجما لغويا يرجع إليه في صناعته الشعرية و ربط بين الطبيعة و بين رؤيته الخاصة للحياة بما فيها من عظات و عبر، فالطبيعة هي المعنى الذي تتفجر منه شاعريته وفي أرجائها يطوّف خياله، إنها كائن حي، يحبها و تحبه يناجيها و تناجيه. و ربما كانت صرخة ابن خفاجة أصدق تعبيرا عن هيام الأندلسيين ببقعة لا يعدلون بها جنة الخلد «هو شاعر الشعور الحي الذي يتغلغل في الطبيعة فيحي و يشخص و إذا الأزهار و الأشجار ألسنة حديث و ثغور ابتسام، و إذا النسيم أنفاس نجوى وامتدادات آمال و إذا ابن خفاجة شاعر الفن و الجمال و شاعر الطبيعة الذي ينسج على أرفع منوال»[2]

(1)–حنا الفاخوري–الجامع في تاريخ الأدب العربي دار الجيل بيروت –لبنان–2005 م ص984

(2)–المرجع السابق ص 985

فهو أكثر صدقا في الإثارة و في البناء و الصّياغة، فلم يتّخد الطبيعة لذاتها مكتفيا بوصفها و نقل محسوساتها الخارجية و ليس ذلك بمعجز له أو صعب عليه، و هو الشاعر القدير على النظم و الصّياغة، و لكنه «اتّخذ من الطبيعة بجزئياتها و مظاهرها و مفاتنها عنصرا مكملا و متداخلا مع أشياء أخرى. فلم يتخذها مسرحا، أو مكان للحدث، و إنما جعلها جزء منه، فأنطقها، و طبع عليها صفات إنسانية ومنحها حواسا بشرية»[1] و فيما يلي نتطرق إلى أهم موضوعات وصف الطبيعة للشاعر ابن خفاجة الأندلسي.

أ – وصف الرياض :

لقد اعتم شعراء الأندلس بالرياض و في التغنّي به ، و ذكر مختلف صفاته فقد، « أشتهر بعض شعراء الأندلس بروضياتهم ،و جعلوها معروضا لإظهار براعتهم و تقننهم بهم السبل–فابن خفاجة– ينهج نهجا خاصا يجعل من الروضة عادة حسناء،تتجسد في صورتها و هيئتها ، إذ يجعل النور عقدها الصون سوالفها، و الجدع زبدها و الخليج سوارها »[2] يقول في ذلك :

وصقيلة الأنوارِ تلوي عِطفَها ريحٌ تلفّ فروعها معطار

عاطى بها الصهباءَ أحوى أحورٌ سَحّابُ أذيال السّرى سحّار

والنَّورُ عِقدٌ والغصونُ سوالفٌ والجذعُ زَندٌ والخليج سوار

رقص القضيبُ بها وقد شرِبَ الثرى وشدا الحمامُ وصَفَّق التيار

غناء ألف عطفها الورق الندي والتف في جنباتها النوّارُ [3]

نلاحظ من هذه الأبيات بأن فن النوريات قد اشتهر بشكل واضح في بيئة الأندلس، و من أهم العوامل المساعدة أوفرة الأزهار، الرّخاء الاجتماعي، شغف الملوك بالنواوير، و شروح حياة اللهو

(1)–يوسف عيد،دفاتر أندلسّية في الشعر و النّثر و النّقد و الحضارة المؤسسة الحديثة للكتاب ط2006،1 م .ص 53
(2)–فوزي عيسي، في الأدب الأندلسي،ص70
(3)–ابن خفاجة عيسي الديوان ،تحقيق السيد غازي،ط د،دار المعارف ،الإسكندرية،1979 م.ص34

لقد شخص الشاعر في هذه الأبيات الأنوار، فتخيل امرأة تتعطر بعطرها الأخاذ ،و يحاول دمج الطبيعة بالإنسان عامة و بالمرأة خاصّة في جو عابق بالسعادة و الهناء والرّاحة ، فرآها تتعاطى الخمر بين أزهار النوّار ، و تبدو تلك الجارية الأخاذة ترتدي ثوبا طويلا ملامسا الأرض و هنا يظهر المثلث الذي لا يتجزأ عند شاعرنا، و الذي يتأسس على موضوع الطبيعة،المرأة ، و الكأس.

و في البيت الثالث توحدت نفس الشاعر مع الطبيعة، و جعلت من صورها أشخاصا صاحية تتمتع بمميزات إنسانية،قد جعل النور عقدا تزيّن بالمرأة عنقها كما رأى في الغصون شعر المرأة المتدلي و استخدم الجدع للزند كمصدر قوة و رأى في التفاف الزّهر كأنه سوار.

كما تبدو الطبيعة و كأنّها في حفل فنرى القضيب في حالة سكر، و قد بدا بالرّفض بعد شربة خمر الذي يزرع في النّفوس إحساسا بالنّشوة و نسيان الواقع المزعج ، و يضيف الحمام جو الفرح للطبيعة بعنائه و كل حفل ينتهي بالتصفيق و قد صفقت أوراق الأشجار مهنّئة .

و في البيت الأخير عاد السكون إلى الطّبيعة بعد الحفل، و حان وقت النّوم ، لذا استعارت الحديقة الورق الندي غطاءا لها ، و التفّت في كل جنباتها النّوار.

و نلاحظ أن الشاعر أسقط إحساسه على الطبيعة، و مزج حالته النّفسية بالمظاهر الطبيعية و أضفى على الجماد بصفة إنسانية من خلال التشبيه:

(النّور عقد ، الغصون سوالف ،الجدع زند، الخليج سوار...) و الاستعارات:

(رقص القضيب ،شرب الثرى ،صفق التيار...) و الكناية : (سحاب أذيال السّرى)، و الجناس النّاقص (أحوى، أحورُ)

هذه القصيدة و إن كانت تتضمن في مظاهرها موضوعا بسيطا، فإن عمقها تحدّت عن جمال الطّبيعة و رقّتها، و كأن الشاعر ألبستها حلّته النفسية.

يقول : يابانة تعتمر فينانـة وروضة تنفخ معطارا

للّه أعطافك من خوطة و حبذا نورك نوّارا

و في شعر الطبيعة عنده اتصال بين الموصوفات و بين نفس الشّاعر و عاطفته ، و تمازج بين الكثير منها و بين رؤيته للكون وموقفه من الحياة، فالشاعر يتعاطف مع ما يصف و كثيرا ما ينقل للقارئ أحاسيسه بجزئياتها ووقائعها، و يجعل بعض معطيات الطبيعة سبلا إلى مشاركته وجدانه، و تصوّر ذاته و من ذلك قصيدته بعنوان : وصف الجبل

ب–وصف الجبل :برع –ابن خفاجة–في وصفه للجبل، و هو ليس وصفا تسجيليا أو تقريريا ، و انما وقفة تأملية ناجى فيها " الجبل " و خلع عليه أحاسيسه، و انصهر معه، و منحه صفات الإنسان ، يقول [1]في ذلك :

وأرعنَ طماح الذؤابـة باذخ يطاول أعنانَ السماء بغارب

يسدّ مهبّ الريح عن كل وجهة ويزحم ليلا شهْبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنـه طوالَ الليالي مُفكر في العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم لها من وميض البرق حمر دوائب

ففي هذا السيّاق تأتي وقفة –ابن خفاجة–أمام الجبل حيث أثار هذا الأخير كوامنه ، و رأى فيه صورة من ذاته ، فاتخذ صديقا يؤنس وحدته و لم يكتف بذلك ، بل خلع عليه عواطفه ، و أحاسيسه ،وامتزج امتزاجا تاما،فإذا هو ذلك الشيخ الوقور الذي يتحلى بعمامته السوداء ذات الذوائب الحمر.

و إذا يواجه العواصف و الرياح النكباء . و يقول [2] في ذلك :

ولاطم من نكب الرّياح معاطفي و زاحم من خضر البحار جوانبي.

---

(1)–ابن خفاجة، الدّيوان، ص215.

(2)–المصدر نفسه، ص ن

ومع ذلك فهو يبدو متماسكا ،شامخا، يطاول أعنان السّماء، يزاحم الشّهب بأكتافه، و كشف أن الجبل يبدو مثله مهموما ، متأملا في الوجود ، تشغله حقيقة الحياة،و الموت و المصير فيقول[1] في ذلك:

أضحت إليه وهو أخرس صامت فحدثني ليل السّرى بالعجائب..

وقال ألاكم كنت ملجأ قاتل وموطن أواه تبتل تائب..

وكم مربي من مدلج ومؤوب وقال بظلّي من مطّي وراكب...

و يكشف لنا حديث الجبل عن كثرة من صور التناقض البشري، و يقوم عنصري(التضاد)، و (المقابلة) بكشف هذا التناقض، حيث يجتمع في رحابه الفاتك، الفاسق و العابد المتبتل، و يمر به المبلح و المؤوب، و يستروح بظله المطي و الركاب، و من هنا يبدوا التوحد بين الجبل و الإنسان في أكمل صوره.

ج–وصف الطبيعة في رحاب الثلج:

يصف ابن خفاجة – الطبيعة في رحاب الثلج، و يأتي في ذلك بالصور الغريبة،فيتخيل الأرض ذات الفضي عجوزا شمطاء، و يؤنس الأقحوان ، فيجعل لع ثغورا باسمة لها ريق بارد من الثلج [2] يقول[3] في ذلك :

لله ندمان صدق بات مصطلياً ... ناراً من القدَح الملآن تستعر

والأرض فِضّيّة الآفاق تحسبها ... شمطاء حاسرة قد مسّها الكِبَر

بكل نجد و وهد قد أظلّ به ... روض تحلّى بنور ما له ثمر

وللأقاحي ثغور فيه باسمة ... لها من الثلج ريق بارد خَصِر

(1)–المصدر نفسه،ص216

(2)–فوزي عيسى،في الأدب الأندلسي، ص91.

(3)–ابن خفاجة، الديوان، ص372

وله ثلجية أخرى يصف فيها الثلج و قد غطى وجه الأرض فأخفاه كالبرقع و التفّ به وجه النّقا، فبدأ كالمختبئ ،و قد كسبت نواحي الغصون ببياض الثلج، و شبهها بالشعر الأبيض بعد أن يغزوه الشيب فيقول [1] في ذلك :

ألا فَضَلتْ ذيلَها ليلةٌ تجرُّ الربابَ بها هيدبا

وقد برقع الثلجُ وجهَ الثرى وألحف غصنَ النّقا فاختبى

فشابت وراء قناع الظلام نواصي الغصون وهامُ الربّى

أما في هاته الأبيات فأراد أن يطلعنا بالميزة الفريدة التي ينفها الثلج على الطبيعة حيث أنه جعل تغطيته لها بمثابة تغطية البرقع للمرأة التي تريد ستر جمالها و كذلك وصف جمال الثلج و هو يكسو التراب فيعطي للغصن لحنا شجيا.

(1)–المصدر نفسه ، ص21.

وصف القمر و مناجاته :

«يكشف نص القمر عن صورة أخرى من صور الشاعر التأملي للطبيعة و مخاطبتها على نسق جديد لم نعهده في الشعر القديم ، و الجديد في هذا النص أن ابن خفاجة لم يصدر في رؤيته للقمر عن موقف وصفي جمالي ، كما جرت عادة الشّعراء الدين صرفوا عنايتهم إلى وصف جمال القمر، ووجدوا مشاكله بينهم و بين جمال المرأة استدارة، اكتمالا و بهاءا [1]

وقد وقف–ابن خفاجة–في الخلاء أمام القمر، و أرهف كل حواسه و أنصت في إصغاء شديد إلى نجواه.

قال، و قد طلع القمر في بعض ليالي أسفاره ، فجعل يطرق في معنى كسوفه و أقماره،و علّه أهلا له تارة و سراره و لزومه لمركزه مع انتقامه في مداره، معتبرا بحسب فهمه و استطاغته، معتقدا بأن ذلك معدودا في عبادة الله و طاعته، لقوله تعالى «إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب» آل عمران 190.

لقد أضحت إلى نجواك من قمر و بت أدلج بين الوعي و النظير [2]
لا أجتلي ملحا حتى أعي ملحا عدلا من الحكم بين السمع و البصر
وقد ملأت سواء العين من وضح ففرط السّمع فرط الأنيس من سمر
وقد جمعت إلى حسن محاورة حزت الجمالين من خير و من خير
وان صمت ففي مرآك عضة قد أفصحت لي عنها ألسن العبر

ففي هذه القصيدة استطاع ابن خفاجة أن يناجي القمر على نسق جديد فأشرك النّفس الإنسانية بسّر الطبيعة، و أدرك ما يسمى بحس الطبيعة ووجد في القمر عبرا كثيرة إن لم ينطق بلسان

(1)- فوزي عيسى،في الأدب الأندلسي ،ص190.

(2)-ابن خفاجة، الديوان.ص130

المقال، فقد عرضها على الواعين بلسان الحال.«و قد حاول شاعرنا أن يلتمس مجالا للوحدة و الفراغ و الصّمت الموحش، فحاول أن يصنع الصنيع ذاته مع القمر، لكنه عجز عن ذلك لكون القمر سماوي، و محاط بهالة من القداسة لم ينجح في وصفه الأمن خلال المناجاة الصّامتة»[1]

هـ- وصف الأنهار:

يقول [2] ابن خفاجة :

لله نهر سال في بطحاء أشهى ورود اً من لمى الحسناء

متعطف مثل السوار كأنّه والزهر يكنفه،مجر سماءِ

و قد رق حتى ظن قرصا مقرعا من فضة في بردة خضراء

وغدت تحف به الغصون كأنّها هدب يحفّ بمقلة زرقاءِ

والريح تعبث بالغصون،وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

في هذه الأبيات قام ابن خفاجة بوصف النهر و هو فشبهه و هو سائل في البطحاء بمثابة لعاب المرأة الحسناء ثم وصفه بالسوار الذي يزين خصر المرأة الضيق مثل القرص المفرغ تحت البردة التي تخفي تفاصيل جسدها.

و انتقل إلى تصوير لون النهر و قد انعكس عليه لون السّماء كزرقة عيون الحسناء، ثم عبّر عن هبوب الرّيح على صفحات النهر كأنها أصبحت فضة براقة و ليس هذا إلا تعبير من الشاعر عن شدّة تعقله بالطبيعة و عناصرها التي تمثل الرقة و الجمال.

ومما سبق نفهم أن ابن خفاجة قد وقف على مدى كبير في تصويره للطبيعة و استغلاله لعناصر الطبيعة و تمثيلها في شعره و هدا ما منحه ميزة خاصة لاسيما فيما يتعلق بأسلوب التشخيصي .

(1)–فوزي عيسى. في الأدب الأندلسي، ص 192.

(2)– ابن خفاجة الديوان. ص 356.

الفصل الثاني

الطبيعة في شعر ابن خفاجة المدحي

الطبيعة في شعر ابن خفاجة المدحـي :

ابن خفاجة المداح أقل وزنا وشأنا من ابن خفاجة الوصّاف و الغزّال، و يعتبر شاعر الطبيعة بامتياز حتى في شعره المدحي، فقد استعان بعناصر الطّبيعة لمدح ممدوحه ، ففي قصيدته: " فصل الرّبيع وزنة المكاء" يقول:[1]

يانشر عرف الرّوضة الغنّاء و نسيم ظلّ السرحة العيناء

هذا يهبّ مع الأصيل عن الرّبا ارجا و ذلك عن غدير الماء

عوجا على قاضي القضاة غديه و شى زهر أو حلا أنداء

لو شئت طلت به الثّريا قاعدا و نثرت عقد كواكب الجوزاء

حيث مدح الشاعر في هذه القصيدة ، قاضي القضاة شبهه بالطبيعة الضّاحكة فجعله كالنّسيم، ثم ذهب تعظيمه إلى جعله نبع المجد، بحيث أن المجد يأخذ مجده منه، و واصل تمجيده و تعظيمه حتى أوصله غلى أقصى درجات الرفعة فلامسّ السّماء، و النجوم و الكواكب.

وله قصيدة أخرى بعنوان " الملك الحبيب" مدح فيها أبا إسحاق ابن أمير المسلمين، فجعل فيها الصباح يضحك عند رؤيته و كذلك يلحمه كالضوء الذي يقوده. يقول[2] في ذلك :

يمثل علاك من ملك حسيب عدلت إلى المديح عن النّسيب

و ساعدني فيك ثناء رطب كما سرت التحيّة من حبيب

لقد ضحك الصّباح بمجتلاه وراء الليل عن ثغر شنيب

سئم بصفحتيه بروق بستر نعيد بشاشة الرّوض الجديب

لمجّ الرّيّ أنفاس المجاني به و مغارس العود السليب

ويحمل في جباه طود حلم تعدّ خلاله رمل الكثيب

(1)–المصدر السابق ص 16
(2)–المصدر نفسه ص51

لقد استعان ابن خفاجة بعناصر الطّبيعة لمدح أبي إسحاق بن أمير المسلمين و يقصد الشّاعر في هذه الأبيات بالنسيب " الغزل" فهو يمدحه عوضا عن تغزّله ، يمدح بأنه عالي النسب و الحسب ، جميل المنظر بهي الطّلعة و أن طلعته تجعل الصباح يسر برؤيته و كذلك أن بسمته تعيد البشاشة إلى الرّوض الجديب فشبهه بالأرض اليابسة حين تصبح مخضرة و له قصيدة أخرى بعنوان سيف الملك يقارن فيها بين الطبيعة الضاحكة و مخلوقاتها و يبين الممدوح يقول [1] في ذلك :

ولا الرّوض عن القطر فضّضه النّدى و رجع فيه طائر فتكلّما
بأطيب أفياء و أنظر صفحة و أعطر أخلاقا و أحلى ترنّما

إن ابن خفاجة لم يتخل في أي قصيدة عن ذكر الطّبيعة و عناصرها فهو يستمد ألفاظه منها و يسقطها للممدوح كالشّمس و القمر و النّجوم ، و الكواكب و الرّياح و المطر و الغيم و النّسيم و المراعي.

والشّواهد الشّعرية كثيرة على ذلك ، فهو لم يوظّف صفة مدحية، إلاّ و كانت متعلقة أو مشبّهة بالطّبيعة.

(1)– المصدر السابق ص (301)

الفصل الثالث

مظاهر الطبيعة في غزله.

أ- الماء

ب- الخضرة و الأزاهير

ج- الريح

د- الليل و الصباح

الغزل و الطبيعة :

يعد هذا الغرض من أهم أغراض الشعر الأندلسي و كان لطبيعة الأندلس الأثر الحاسم في جعل هذا الغرض من أشهر أغراض الشعر الأندلسي، و تمثل طبيعة الأندلس، الملهم الأول لشعراء الأندلس، خاصة أن مجالس الخمر و اللهو و الغناء كانت تقام في أحضان هذه الطّبيعة ، و كانت هذه الأخيرة مسرحا لغرام الشعراء و الأم الرّؤوم التي تحتضن حبهم و تشاركهم أفراحهم و مسرّاتهم، فالمرأة في الأندلس صورة من محاسن الطبيعة، و الطبيعة ترى في المرأة ظلها و جمالها فوصفوها بالجنة و الشّمس بل إنهم « إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدودا و من النّرجس عيونا و من قلوب اللّوز و سرر التّفاح مباسم، و من السفرجل نهودا، و من قصب السّكر قدودا، ومن إبنة

العنب رضابا »[1]فالنسيب العاطفي لا يكاد يذكر إلا من خلال الطّبيعة «لأنها الإطار البديع لصور اللّقاء والسّمر، فعلى ضفاف الأنهار، و مشتبك الأغصان و في اللّيلة القمراء، و مع النسيم الهادي الوثير يحلو نناجي الأرواح وتهامس الأفئدة و امتزاج النفوس»[2]

مظاهر الطّبيعة في غزله:

إن مظاهر الطّبيعة هي البريد الأمين الذي ينقل عن المحب لواعجه و أحاسيسه «فالرّشاش المتقاطر، الشغف الوردي، و الدر المتجمد في أغالب الغصون، و لنفحات الزهور، و اختلاج المياه زهور عاطفية تكشف عن معاني حبيسة في نفوس العشّاق و ما أفصحها من رموز كشافة الإحساس و تنقل الحروف بدون معان أو كلمات »[3].

ووصف الطبيعة عند الشّاعر مرتبط ومتصل بالخمر و الغزل ارتباطا وثيقا و مجالس الغزل والخمر لا تعهد إلّا في أحضان الطّبيعة.

و نتطرق فيما يلي إلى أبرز موضوعات الغزل و الطّبيعة عند ابن خفاجة .

---

(1)–المقري أحمد بن محمد التلمساني،نفخ الطيب تحقيق الدّكتور إحسان عبّاس بيروت، دار صادر 1968 ص(1)

(2)–محمد رجب البيومي الأدب الاندلسي بين التأثير و التاثير، الدار العربية للكتّاب 2008 ص(73)

(3)–المرجع نفسه ص.ن

أ–الماء: تشغل الطّبيعة شعر ابن خفاجة بجميع ما تعرّض له من مظاهر حسنها و نضارتها و زينتها وحلاها، و أصباغها و ألوانها ، و أبرز ما أخد من عناصر الطّبيعة في غزله" الماء" فشعر ابن خفاجة على الإجمال كثير الماوية رطب، فيصف الحبيبة منعزلا بها، و بجمالها فيقول [1]:

فعكّرت من ماء الصّباح علالة تندى و من شغف السماء نقاب .

في حديث للرّيح الرّخاء تنفس أرجٌ و للماء الفرات عباب

و لربّ عقن الجسم مدّ بخوصه شبحا كما شن السّماء شهاب.

و إذا وصف لوعته و شوقه للحبيب كان للماء دور مهم في إيضاح الصّورة و تجسيدها ، فيقول في قصيدة يصف فيها نفسه قبل قدوم الحبيب إليه و قد انهمرت دموعه شوقا :

ازددت من لوعتي حيالا فخن من غلبتي شرابا [2]

و بين جفني بحر شوق يعبّ في وجني عبابا

و قال :

فكاد يشرب نفسي و كدت أشرب خدّه

فالماء هنا هو ذات الغاية ، و الشّرب كفاية عن امتلاك هذه الغاية ، بإشباع اللّذة و التمتع بالحبّ، فالماء يطفئ النّار المتأججّة في القلوب لتصبح هي ماء الحياة ، هي الحبيب بذاته و قال في أحد قصائده:

ألم يسقيني حسلافة ريقة و طورا يحييني بأسي عدار [3]

قبلت مرتدّ النفس من أقحوانه شممت عليها نغمة لعرار

و الطبيعة تشارك ابن خفاجة في حزنه و فرحه فتأخذ الطّبيعة بكافة عناصرها مع الموصوف ،

---

(1)–ابن خفاجة. الديوان ص 218.

(2)–المصدر نفسه ص 310.

(3)–المصدر نفسه ص62

لتصبح الحبيبة هي الطّبيعة جملا ، حسنه، و أنوثة ، فيقول :

و سال قطر الدّمع في حدّه فرق روض السّن ممطورا [1]

ب– الخضرة و الأزاهرة :

من يتصفح ابن خفاجة القدح منه رائحة الأزهاير ،و يعرف في غمرة الالوان و يطير في فضاء من الخضرة و الأشجار و الروض و الغدير .فالنرجس و الأقحوان و الطيب و غيرها عطّرت جو الغزل و الوصف أيضا.

يقول :

غار لنا جفن هناك كنرجس و ميسم للأقحوان شنيب [2]

و إذا وصف المرأة و تغزل بها و كأنه يصف الطبيعة.

فتق الشباب بوجنتيها وردة في فرع أسلحة تميد شباب [3]

وضحت سوالف جيدها سوسانة وتورّدت أطرافها عنّابا .

و أفضل ما قاله في الطّبيعة [4]:

وجنيت روضا في قناعك أزهرا و قضيت بان في وشاحك أثمرا

ثم انثنيت و قد لبست مضدلا و طوبة في خلع الظلام معتبرا

و الصّبح محطوط النّقاب قد اجتبى في شملـة و ريبة فتأزّرا

و في هذا الصدد نلمح أن حضور عناصر الطبيعة جلي، في أبياته هاته، و ذلك من خلال توظيفه لألفاظ تدل على الطبيعة و صفاتها، و هذا يدل على تأثيره البالغ بما تحويه الطبيعة، فقد ضمن شعره ببعض المفردات مثل: الروض الزهر، الثمر، الظلام، الصبح و هذا التوظيف علامة على فتنته بالطبيعة.

---

(1)–المصدر نفسه ص115

(2)–المصدر نفسه ص93

(3)–المصدر نفسه ص215

(4)–المصدر السابق ص82

ج– اللّيل و الصّبح :

بعيدا عن عيون المبغضين و الحاسدين و الكاشحين و الأعداء، فالغزل الخفاجي مسرحه الليل حيث اللّهو و الخمر و المجون، و كلما ذكرنا في بحثنا سابقا بأن ابن خفاجة له مثلثه الخاص هو الطبيعة، الحمرة، و المرأة فيقول [1]

نادمتها ليلا و قد طلعت به شمسا و قد رق السّراب سرابـا

وترنمت حتى سمعت حمامـة حتى إذا خسرت زجرت عزابا

ورب ليلـة سهرت فيـه أزجـر من جنحة نكابـا

حتى إذا اللّيل مال سكرا و شق يسيربـاله وجابـا

والليل زينته عينا الحبيبة و خدّاها، فهو كالثغر في وجه اللّيل يقول ابن خفاجة في أحد قصائده :

واللّيل ستر دوننا مرسـل قد طرزناه أنجم حمر [2]

أبكـى ويشجنـي ففـي وجنتي ماء وجنته حمر

ربان يسقينـي تحت الدجى مشولـة يمرجها القطر

و استمرت عن وجهة ليلة كأنّه في وجهها ثغـر

فصورة الليل تتكرر في معظم قصائده الغزلية، و لا تكاد جميعها تتشابه و تقترن بصورة الصباح، فلا نفرق بين الأبيض و الأسود إلا حسيا، و ذلك فإن ابن خفاجة كان في غزله وصفيا بعيدا عن الخيال الجامح قريبا من الفطرة ميالا إلى المحسوس المعيش.

---

(1)–المصدر نفسه ص21

(2)– المصدر نفسه ص 43

الفصل الرابـــــع

خصائص شعره في وصف الطّبيعة

خصائص شعره في وصف الطّبيعة :

1 تفنّن في الموضوعات و تنوع : البيئة المترفة، القصور و البرك ، الفن و البحر يقول في ذلك:

ولجة تعزف أو تعشق فاتتني احشاؤها تخفق[1]

يسير فيها سائها جها من الصبا مزيدة بقلق

و يقول :

يا أهل الأندلس للّه ذركم ماء و ظلّ و اشجار و أنهار [2]

ماجنة الخلد إلاّ في دياركم و لو تخيرت هذا كنت أختار

2 مزج قوي بين جمال المرأة و جمال الطّبيعة « إنّه غذا تغزل صاغ من الورد خدودا ، و من النّرجس عيونا »

يقول في ذلك :

غازلنا حفن هناك كنرجس و مبتسم للأقحوان شنب [3]

3 الطبيعة عند ابن خفاجة ضاحكة طروب، هي مسرح للهو،و مقتضب للشّراب و لذا فقد هتف ابن خفاجة ، بالخمر، في جوّ الطّبيعة كما تبينا ذلك في متن البحث و يقول :

أماو سبيل ماثل الغيث كالسّطر كما انزع السّاقي الزّجاجة بالخمر [4]

فمن عارض يسقى و من سقن مجلس يغني و من بيت جميل من الشّكر

وقال أيضا:

---

(1)ديوان ابن خفاجة ص37

(2)–المصدر نفسه ص62

(3)–المصدر نفسه ص80

(4)–المصدر نفسه ص99

ولا غروان تروى بها عن ناظر و باطنها ماءٌ و ظاهرها خمر [1]

تعلقته نشوان من خمر ريقة له رسمها دوني و لي دونه الشّكر

4–الاهتمام بالأوصاف الحسّية ، و المظاهر الخارجية على العناية بالجزيئيات كالزّهرة و النّسمة يقول في ذلك :

لو حمل اللّيل حسن رهمته امتنع طرف المحبّ بالسّهر [2]

و مثل شكري على تقيله يجمع بين النّسيم و الزّهر.

و يقول أيضا :

وتعتزعن بشر هناك زهرة و يهفو له من معطفي قضيب [3] و

5-عدم التعمق في الفكرة ، و اعتناء بلطف الإخراج ، على غزارة في الصّور و الألوان.

يقول : أسود و أبيض فعله كرما فالتفت الحسن فيه عن حور [4]

كأنّه و النفوس تعشقه مركّب من محاسن الصّور

و قال يضا :

حتى تشيت غصنا و اصفّرت الشمس نقرة [5]

وارتد للشّمس طرف به من السقـم فتره

يجول للغيم كحل فيه و للقطر عبـرة

---

(1)-المصدر نفسه ص100

(2)المصدر السابق ص301

(3)-المصدر نفسه ص420

(4)-المصدر نفسه ص140

(5)-المصدر نفسه ص123

-تعلق ابن خفاجة-بيئته الطبيعية ، و هيامه بها هياما مبالغا ، حيث بلغ حدّ الحلولية ، إذ أن الطبيعة شكّلت حضورا في معظم إبداعاته الفنّية حتى تشّطى معجمها في مختلف الأغراض من غزل و رثاء ، ووصف و مدح، و بلغ هذا التمازج بين الشاعر و الطبيعة مرتبة التشخيص و أنسنة.

يقول في ذلك :

كتبت و قلبي في يديك أسير يقيم كما شاء الهوى و يسير. [1]

و في كل حين من هواك و أدمعي بكل مكان روضة و غدير.

و قال في الرّثاء:

في كل ناد روض ثنـاء و بكل خدّ فيك جدول ماء [2]

ولكل شخص هزة الغصن الندي عن البكاء و رنة المكاء.

فعريت الأمن قناع كآبـة وعطلة الأمن حليّ بكـاء

1)- في المدح :

مثل ملاك من ملك حبيب عدلت إلى المديح عن النّسيب [3]

تشمّ بصفحتيه بروق بشر تعيد بشاشة الروض الجديب.

تمتد الريّ أنفاس المجانب بـه و مغارس العود السليب.

و في الوصف :

يازهرة الغصن الوريـق و بشاشة الروض الأنيق [4]

أتتكما بشرة بسـق يا أم سـلام من صديق

---

(1)-المصدر نفسه ص77

(2)المصدر السابق ص39

(3)-المصدر نفسه ص220

(3)-المصدر نفسه ص340

7-تشكلت المرأة عنصرا من محاسن الطبيعة لذا كانت الطبيعة عند ابن خفاجة روضا وحنة و شمسا و هكذا كانت العلاقة شديدة بين جمال الطّبيعة و جمال المرأة.

و يقول في ذلك:

أطل وقد خط في خده من الشعر سطر دفين الحروف [1]

فقلت أرى الشمس مكسوفة فقوموا نصلي صـلاة الكسوف.

8-نحد لدى ابن خفاجة تجاوبا نفسيا مع عناصر الطبيعة المختلفة ، يقول مثلا :

و قال : الا كم عنه ملجـأ فاتك و موطن أواب تبتل تائب [2]

و كم مربي من مداح و مؤوب و قال بضلي من مطي و راكب .

9- شعره كما ذكرنا سابقا يعني بتشخيص الطبيعة و تصويرها على نحو إنساني تملؤه الحركة و النّشاط.

و يقول:

ملا العيون بصـورة دلت محاسنهـا يور [3]

فإذا رنا و إذا مشـى و إذا شدا و إذا سفر

فضح الغزالة و الغما مة و الحمامة والقمر

و ما تقدم نخلص إلى أن شعر ابن خفاجة تميز بجملة من الخصائص التي جعلت شعره متفرّدا و متميزا و نموذجا يحتذى في مجال وصف الطبيعة.

---

(1)-المصدر نفسه ص45

(2)-المصدر نفسه ص216

(3)- المصدر السابق ، ص 450

الخاتمـــــة

الخاتمــة

بعد دراسة موضوع شعر الطبيعة عند ابن خفاجة الأندلسي توصلنا إلى النتائج الآتية :

يعد ابن خفاجة بحكم النقاد و مؤرخي الأدب العربي من شعراء الطّبيعة ، تفاعل مع الطبيعة الأندلسية وتأثر بها ، شاطرها همومه و أشجانه ، و قاسمها مشاعره و أحاسيسه ، فاستعان بصورها و قاموسها و ألفاظها ، في شتّى أغراضه الشّعرية.

لم يتخذ الطّبيعة لذاتها مكتفيا بوصفها، و نقل محسوساتها الخارجية كما لم يتخذها مسرحا ، أو مكان للحدث، و إنّما جعلها جزءا منه ، فأنطقها و طبع عليها صفات إنسانية.

و رأينا أنّه لم يتخلّ في أيّة قصيدة من قصائده عن ذكر الطّبيعة و عناصرها فهو يستمد ألفاظه منها ، و الشّواهد الشعرية كثيرة على ذلك أشرنا إلى ذكر البعض منها في ثنايا البحث.

لقد صبغ قصائده بلونه الخاص النّابع من الطّبيعة الصّامتة و المتحركة، برياضها و أشجارها، و أزهرها و أنصارها ، وصف الطبيعة بجميع مظاهرها وأنهارها، و جبالها، ومفاوزها ، و سمائها ، و نجومها وما يتصل بذلك كلّه من نسيم و رياح و أمطار ، كما أنّه وصف الطبيعة الحيّة أيضا كالفرس و الذئب ، و بعض الطيّور.

–كانت قصائده بارعة الرّسيم أنيقة الألوان ، محكمة الظّلال ، تشدّ انتباه القارئ و تثير اهتمامه ، فقد كانت الطبيعة مستولية على حواسه، و لم يستطع أن ينساها حتى في أغراضه الأخرى.

و يتراوح أسلوب المدح بين الجزالة و السّهولة، و الفخامة و الرّقة، وفقا لطبيعة المعاني المعبّر عنها ، و لكنّه بوجه عام ، يميل إلى التأنّق في العبارة و الصّياغة ، أو بمعنى آخر الألفاظ فقصائد ابن خفاجة المدحية جاءت بليغة التأثير شديدة التصوير و تميزت اللّغة بالرّقة محاطة بالاستعارات و الصّور.

أما الغزل (النسيب) فهو أهم الأغراض التي عالجها ابن خفاجة أيضا ،و أوضح سماته ، تلك الرّقة في العواطف المعبّر عنها في رقة البيان و كأن لحياة الأندلسية دور ايجابي في طبيعة شعر الغزل ، فغزل ابن خفاجة عذريا في بعض شعره،و حسيا في بعض نماذجه ، يقف عند حدود الوصف المّادي مستعيرا أوصاف البيئة حوله و أجمل ما في غزل ابن خفاجة*بجانب لطف التعبير، أن الصادق منه شديد التأثير خاصة عندما يبكي و يحن في إيقاع غير متكلّف.

قائمـــة المصـــادر و المراجـــع

قائمـــة المصـادر و المراجـــع:

أ -المصـادر :

1 -ابن خفاجة، الديوان، تحقيق السّيد غازي ،ط2، دار المعارف، الإسكندرية ،1979م

ب -المراجـــع :

1-أحمد الزيّات ، تاريخ الأدب العربي ، ط12، دار الثقافة بيروت

2–جودت الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، الطبعة 2 مطبعة الشرقي بدمشق 1970م
3–حنّا الفاخوري الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل ، بيروت، لبنان،2005م
4–شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في النثر العربي ،د.ط القاهرة، دار المعارف،1960م
5–عصر الدولة والإمارات في الأندلس، د.ط دار المعارف،1983م
6–فوزي عيسى ، في الأدب الاندلسي، دار المعرفية الجامعية للطّبع و النشر و التوزيع،2009م
7–الشعر الأندلسي، في عصر الموحّدين، دار المعارف لدينا الطباعة و النشر و التوزيع ، الاسكندرية،2007م
8–محمّد رضوان الداية ، ابن خفاجة،ط1 ، دار قتيبة للنشر و التوزيع،1972م
9–يوسف عيد، موسوعة الحضارة العربية لعصر الأندلس،ط1،طرابلس،2006م

فهرس الموضوعات

مقدمــة ..... **ص أ–ب–ج**

مدخـل **ص.1-2**

الفصل الأول : الطبيعة في شعر الوصف **ص3-12**

- وصف الطبيعة في شعره ..... **ص 5**

أ-وصف الرّياض ..... **ص 6-7**

ب-وصف الجبل ..... **ص 8**

ج-وصف الطبيعة في رحاب الثّلج ..... **ص 9-10**

د-وصف القمر ..... **ص 11**

هـ- وصف الأنهار ..... **ص 12**

الفصل الثاني : الطبيعة في شعر ابن خفاجة المدحـي .....**ص 13-14**

الفصل الثالث :الغزل و الطّبيعة ..... **ص 15- 18**

*مظاهر الطّبيعة في غزله ..... **ص 15**

أ- المـاء ..... **ص 16**

ب-الخضرة و الأزاهير ..... **ص 17**

ج-اللّيل و الصّبح ..... **ص 18**

الفصل الرابـع : خصائص شعره في وصف الطّبيعة.....**ص 19-22**

خاتمــة ..... **ص 23-24**

قائمــة المصـادر و المراجـع ..... **ص 25**

فهرس الموضوعات .....**ص 26**

دُعـاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا و لا باليأس إذا

أخفقنا ،و ذكرنا دائما أن الإخفاق هو التجربة

التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا و إذا

أعطيتنا

تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

يارب إذا أسأنا إلى الناس فامنحنا شجاعة العفو

آمين يارب العالمين

شكر و عرفان

إن أول الحمد لله سبحانه و تعالى أن وفقنا إلى إتمام هذا العمل و لما كان من دستور الحياة الفاضلة أن يشكر من أعان ، و يكرم من أحسن تتام الإحسان ، فإننا نتقدم بجزيل الشكر و تمام الامتنان إلى أستاذنا المشرف الدكتور محمد زلاقي– لتفضله بقبول الإشراف على هذا البحث و للجهد الصادق الذي بذله ، و للملاحظات القيمة التي أبداها ، فكانت العوامل خير عون فيما كنا نلاقيه من صعوبات.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بخالص العبارات الشكر و التقدير لكل من قدموا لنا يد المساعدة في انجاز هذا العمل.

و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

- إلى من علمتني كيف يكون العطاء بلا مقابل... إلى من كانت لي الأخت و الأم و الصديقة و الرفيقة ... إلى من جعلتني عاملا، فكانت كل حياتي.. إلى من تعبت بحملي و فطامي و مضت تعلمني الكلام و تروح تعمل باهتمام لهنائي بين الأنام ،إلى نبع الحنان و الرحمة (أمي الحبيبة حسينة) أطال الله لي في عمرك يا غالية.
- إلى الذي غرس في قلبي حب الخير في نفسي مكارم الأخلاق،إلى الذي علمني كيف أمتطي رحلات الزمن إلى الذي مهما نفخت كلماتي فإنها ستبقى قاصرة على احتواء حبي و تقديري و افتخاري و احترامي إلى (أبي العزيز جمال)أدامه الله تاجا على رأسي.
- إلى من أعتز بأخوتها، إلى توأم روحي ، التي أرى من خلالها بوضوح(أختي الوحيدة المدللة العزيزة إيمان.
- إلى إخوتي و رفاق دربي،الذين أعتز بأخوتهم ، و الدين أحاطوني باهتمامهم و نصائحهم،إلى من احتجتهم سندا لي فكانوا لي عونا (حمودي ،وإلى الأغلى و الأعز إلى قلبي أخي الصغير المدلل" ياسر عمار" أتمنى له النجاح – إلى خطيبة اخي العزيزة و الغالية " نادية"
- إلى جدتي من أمي وجدتي من أبي الغاليتان (حضرية و سعدة) أطال الله في عمرهما. إلى خالاتي الأربعة (ليلى،ربيعة ،وسكينة) و خاصة إلى التي كانت ابتسامتها زادي و نصيحتها دليلي سميرة و زوجها و ابنتها سلسبيل و أولادها عبد الصمد و ضياء الدين،و عماتي، و إلى كل أفراد العائلة كل باسمه(أخوالي،أعمامي، بنات عمي،بنات خالي، بنات خالاتي، أولاد أعمامي.
- إلى اللواتي اعتز بصداقتهن حيزية، نوال و زوجها و ابنتها نادين نهاد، منى،أميرة ، ابتسام، خديجة ، حنان.
- إلى معلّمي و أستاذي في الحياة سمير حمودي (خالد)
- إلى كل ما كانت و لا زالت و ستبقى منزلتهم في قلبي،
- إلى كل من عرفتهم و أحببتهم و أحبوني... أهدي ثمرة جهدي هذا...

سهـــام

إلى شمعة حياتي الأزلية ماما الغالية حفظها الله.

إلى من جعلته نبراسي و تاجا يعتلي رأسي "أبي العزيز"

إلى مصدر ثقتي و مخزن أسراري و الذي ساعدني على الصمود و المواصلة زوجي " ياسين"

إلى برعمة الأمل رمز البراءة و الجمال ابنتي الحلوة " نادين"

إلى من أكن لهما كل المحبة و الاحترام : وردة + أمينة.

إلى زميلة الطفولة - سهام-

إلى كل من ينطق العربية و يعتز بها.

إليكم أهدي ثمرة جهدي

نــوال

مقدمـــــة

مقدمـة:

البحث في أي موضوع يختاره الباحث سواءٌ أكان أدبيا أم علميّا، لابد أن تتوافر فيه جملة من الشّروط التي تكشف عن أهمّيته، و مدى صلاحيته، و عن الآفاق المتوّخاة لإنجازه، و ذلك حتىّ يتميّز الموضوع المختار عن غيره من الموضوعات، و عن سائر الأبحاث السّابقة التي قد تكون أنجزت للغرض نفسه.

و في سبيل ذلك يتوّجب على الباحث الإلمام بكل جوانب موضوعه، و ما يحيط به من ملابسات للتأكّد من أّنه لم يكتب فيه أصلا، وأنّ من كتب فيه قد نحا منحى آخر غير الذي يهدف إليه الباحث.

لقد وهب الله الأندلس طبيعة ساحرة ووافرة جمالا، جبالها الخضراء، و سهولها الجميلة، و كان كلّ ذلك أثر في تفجير مواهب الشّعراء، ومن هنا نجد تعلّق الأندلسيين بها، يسرحون النظر في خمائلها، و أخد الشعراء ينظمون دررا في وصف رياضها و مباهج جنانها.

و لم يكن جمال الطبيعة في الأندلس هو الذي ساعد على ازدهار شعر الطبيعة هذا، بل إن حياة المجتمع الأندلسي أثّرت أيضا في هذا الشّعر، الذي يمثّل تعلّق الشعراء الأندلسيين ببيئتهم، و تفضيلها على غيرها من البيئات الأخرى.

و لكون الشّعر يصف طبيعة الأندلس، فهم يصوّرونها عن طريق الطّبيعة كما أبدعها اللّه في الحقول، و الرّياض، و الأنهار، و الجبال، و السّماء، و النجوم. و يصفونها كما صوّرها الفن لديهم في القصور، و المساجد، و البرك، و الأحواض و غيرها.

–فابن خفاجة– شاعر الطبيعة و مصوّرها، قد امتلأت نفسه و عينه من جمال الطّبيعة، و جمال الحياة، فراح يصوّر هذا الجمال في صورٍ مختلفة، فانتقى الأساليب الصّافية، و الألوان الزاهية، و دبجها بزخرف بديع، ووشّاها بكثير من المجاز و التشبيه فأطلق عليه لقب شاعر الطبيعة لكثرت ما نظم ضمن قصائده عن الطبيعة و جمالها في الأندلس، فهو ابن الأندلس بعامّة، و ابن الطبيعة بخاصّة، لقد جعلت الطّبيعة له ضيعة في وديان بلنسيّة أبعدته عن حياة التكسّب، فضمنت له عيشة راضية بفنه، فوقف في محرابها يتغنَّى بأجمل الألحان غناءا خالصا للطبيعة.

من هنا لفت انتباهنا هذا الشّاعر و أثار اهتمامنا فوقع اختيارنا على موضوع: «شعر الطّبيعة عند ابن خفاجة الأندلسي»، من الأسباب التي دفعتنا إلى اختياره.

إنّ ابن خفاجة يعد فعلا ابن الطّبيعة فنيّا: استطاع أنّ يحقّق حضورا متميزا و ذلك من خلال النّتاج الشعري المكثف الذي مارسه و ظل يمارسه داخل الأندلس و خارجها، و هو ما دفعنا إلى الإقبال على دراسة نتاجه الشعري في الطبيعة.

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي في بحثنا، و قمنا بدراسته دراسة موضوعية فنية، و قد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون منهجيا في مدخل و أربعة فصول و خاتمة.

-تضمن الفصل الأول بعنوان الطبيعة في شعر الوصف عرضنا فيه بعض النماذج التي برع ابن خفاجة في وصفها و تصويرها، حتّى أن قارئ هذا الشعر يستلهم الطبيعة بجمالها و كأنه يراها أمامه، حيث تناولنا وصف الرياض ثم وصف الجبل، فوصف الطّبيعة في رحاب الثلج رغم أنّه يبقى ما قبل في الثلجيات أقل ممّا قبل في الرّوضيات و المائيات، ثمّ وصف القمر، و أخيرا، وصف الأنهار التي كانت ترفد الأرض بالخصب و العطاء، و اتخذ الأندلسيين من ضفافها مراتع للمتعة و اللّهو، و من صفحاتها ساحات تمرح عليها زوارقهم و شراعهم.

-أما الفصل الثاني الذي عنوانه "الطّبيعة في شعر ابن خفاجة المدحي" فقدمنا فيه ثلاث نماذج من هذا النوع ثم يأتي الفصل الثالث بعنوان " الغزل و الطبيعة " عرضنا فيه بعض النماذج من الغزل الممزوج بالطبيعة، من ماء، و خضرة و الأزاهير و الريح، و اللّيل و الصبح.

و أخيرا الفصل الرابع بعنوان "خصائص شعره في وصف الطّبيعة" و ختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت حوصلة النتائج التي توصّلنا إليها.

و قد اعتمدنا في هذا البحث على العديد من المصادر و المراجع، و أهم مصدر هو ديوان ابن خفاجة الذي أفادنا بالكثير، كذلك أهم ما اعتمدناه هو كتاب " في الأدب الأندلسي "لفوزي عيسى.

وقد واجهنا في هذا البحث بعض الصّعوبات منها نقص المراجع في مكتبة المركز وضيق الوقت المخصص لإنجاز العمل، و يبقى هذا العمل ناقصا بحاجة إلى مزيد من الدّراسات و الإضاءات الأخرى حول (شعر الطّبيعة عند ابن خفاجة الأندلسي)

و يفرض علينا هذا البحث أن نتوجّه بباقة شكر و امتنان للأستاذ المشرف: الدكتور محمّد زلاقي، لتقضّله بقبول الإشراف على هذا البحث، و للجهد الصّادق الذي بذله، و للملاحظات القيّمة التي أبداها حيث أمدّنا بكثير من التوجيهات و النّصائح و الإرشادات، و نفث في روحنا الكثير من التحفيز لاسيما في الأوقات التي شعرنا فيها بالانكسار و التدبدب .

و الأكيد أنّ هذا البحث لا يشكّل سوى لبنة تضاف إلى أخرى سابقة لها، و لعلّها تكون أرضية لبناء دراسات أخرى خاصة و الثقافة العربية أحوج ما تكون إلى دراسات معمقة في هذا المجال فهو لا يزال ثريا، و البحث فيه لا ينفكّ شيّقا و مثيرا.

مدخل

مدخـل:

حبا الله الأندلس طبيعة ساحرة خلابة، فأحاط بها البحار و كثرة الأنهار، و انتشرت الرّياض و الحدائق و المنتزهات، و فتنت هذه الطبيعة الجميلة شعراء الأندلس، فتعلقوا بها و برعوا في وصفها في لوحات شعرية أخّادة.[1]

فالبيئة الأندلسية تنعم بروعة آسرة، تصطلع بظلال وارفة و ألوان ساحرة، و انعكس ذلك في الشعر الأندلسي بشكل عام، فشعراء الأندلس " توفروا على وصف الطّبيعة و أكثروا من التغني بمناظرها الجميلة و عبّروا عن كلفهم بها و تفننوا في هذا المجال تفننا واسعا حتى صار وصفهم للطبيعة من أهم الموضوعات التي طرقوها، وأحرزوا قصب السّبق فيها على المشاركة فالأندلس أقرب إلى لوحة فنية ناطقة " [2]

و لقد شاع هذا الفن لدى الأندلسيين و توسّعوا فيه و بلغ ولعهم بالطبيعة و الاستعانة بها في أغراضهم الشعرية حدا يصعب معه على القارئ أن يدري إذا كان الشعراء يتحدثون عن الطبيعة أم كانت الطبيعة تتحدث عنهم؟

و يعكس شعر الطّبيعة في هذا العصر شدّة ارتباط الأندلسيين ببيئتهم، و تعلقهم بمناظر الجمال في بلادهم فالشاعر لا يفتأ، يتغنى بحب الأندلس و يفيض في وصف محاسنها و يعبر عن التصاقه بها و يفضّلها عن سائر البلدان «و كان هذا الاتجاه إلى الالتصاق بالبيئة الأندلسية انعكاسا للشعور الوطني في نفوس الأندلسيين و تعبيرا عن نزعة أندلسية قوية، تأصلت في نفوس الشعراء و ظهرت في شعرهم بشكل واضح» [3] و لسنا نريد أن نتوسع في الحديث عن شعر الطّبيعة، لكن ينبغي أن نحدد مفهوم شعر الطبيعة، و نقف من ذلك عند شعر ابن خفاجة لمعرفة مدى تحقق ذلك المفهوم في شعره.

---

(1) ينظر:فوزي عيسى، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع.2009 ص11.

(2) ينظر:فوزي عيسى، في الشعر الأندلسيي عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الإسكندرية. 2007 ص127.

(3) المرجع نفسه، ص ن.

يقول جودت الركابي عن شعر الطبيعة: «هو الشعر الذي يمثل الطبيعة و بعض ما اشتملت عليه في جو طبيعي يزيده جمالا خيال الشاعر و تتمثل فيه نفسه المرهفة، و حبه لها و استغراقه لمفاتنها»[1]

(1) جودت الركابي الطبيعة في الشعر الأندلسي، طبعة 2 مطبعة الشرقي بدمشق،1970م ص126.

الطبيعة في شعر الوصف :

ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأندلسية ينطلق في وصف الطبيعة من إحساس مرهف بجمالها أولا و من رغبة كامنة لديه و لدى بعض الشعراء الأندلسيين في التميز و تكوين شخصية أندلسية لها أغراضها الشعرية الخاصة التي تعكس مجتمعا ووسطا جديدين، فالشاعر الأندلسي يسعى دوما نحو التجديد و يحاول تصميم أثواب جديدة خاصة بالشعر الأندلسي يسعى دوما سعيا لإثبات الذات و تحقيقها فكأنه يريد زرع شجرة أندلسية متميزة وسط تخيّل مشرقي.

واختصاص ابن خفاجة بوصف الطبيعة هو مذهبه العام حتى أنه عرف بجنان الأندلس نسبة إلى وصفه للجنان.

و لا يكاد المرؤ يجد خلاف هذا الرأي عند من كتب عن ابن خفاجة عدا شوقي ضيف الذي فكر " أن أكثر ديوانه يدور في المدح" [1]

و يبدو أن شوقي ضيف نفسه قد غير رأيه في كتاب "تال"

يقول فيه «و أهم موضوع استفد أكثر شعره و اشتهر به وصف الطبيعة» [2] و ابن خفاجة شاعر الطبيعة، وصف بلاده بما لها من طبيعة بهية و مناظر خلابة، و لم يقتصر على مجرد وصفها و التغني بجمالها بل «لقد سكنت الطبيعة نفسه فعبر عنها شعره في أغراضه المختلفة من وصف أولا، و من غزل و مديح ومجالس خمر و رثاء ثانيا»[3]

و لنعرف إن كان حقا شاعر طبيعة أم أنه يستعين بالطبيعة في زيادة الزهو و الجمالية في نتاجه، إنه بحكم النقّاد و مؤرّخي الأدب العربي يعتبر من شعراء الطّبيعة «يتفاعل مع الطّبيعة

---

(1)–شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في النثر العربي د ط، القاهرة دار المعارف 1960 ص445.

(2)–شوقي ضيف،عصر الدول و الإمارات في الأندلس،د.ط،دار المعارف 1983–ص–319

(3)–محمد رضوان الداية، ابن خفاجة،ط1 دار قتيبة للنشر و التوزيع 1972 ص–22–

الأندلسية و يتأثر بها،فيشاطرها همومه و أشجانه،و يقاسمها مشاعره التي تفيض حبا و حنانا، فاستعان بصورها و قاموسها في شتى أغراضه الشعرية»[1]

(1)–أحمد الزيات ،تاريخ الادب العربي، ط26، بيروت،دار الثقافة ص32.

وصف الطبيعة في شعره:

الوصف هو الغالب على شعر ابن خفاجة، فقد كانت بلدته من أجمل بقاع الأندلس و أخصبها تربة، فنشأ شاعرنا مولعا بجمال الطّبيعة: «فشعره هو شعر الطّبيعة الزاهية النابضة بالحياة، هو شعر الجنان و المنتزهات، يصورها تصويرا دقيقا حافلا بالرقة و الين و الأصباغ و يسير من نعومة النسيم، و عبق الرياحين على توقيع الأغصان المتمايلة و الأنوار المتهادية، و المياه المترقرقة، و الأطيار المغرّدة، فترى الطبيعة عالقة في كل أغراضه، فإذا مدح ابتدأ بالوصف و انتزع من الطبيعة صورة، و إذا رثي مزج البكاء بالوصف مزجا بليغا فتصبح دموع الباكين جداول ماء، و اهتزاز إحساسهم كاهتزاز الغصن الندي و أنينهم كصوت قبره نائحة»[1]

و يعد أشهر شعراء الأندلس في موضوع وصف الطبيعة و لعل شعره يفيض بالمزايا التي تجعله في مقدمة شعراء العرب القدامى في هذا الغرض فقد أكثر في وصف الطبيعة الأندلسية و وصل بين الطبيعة على اختلاف أنواعها معجما لغويا يرجع إليه في صناعته الشعرية و ربط بين الطبيعة و بين رؤيته الخاصة للحياة بما فيها من عظات و عبر، فالطبيعة هي المعنى الذي تتفجر منه شاعريته وفي أرجائها يطوّف خياله، إنها كائن حي، يحبها و تحبه يناجيها و تناجيه. و ربما كانت صرخة ابن خفاجة أصدق تعبيرا عن هيام الأندلسيين ببقعة لا يعدلون بها جنة الخلد «هو شاعر الشعور الحي الذي يتغلغل في الطبيعة فيحي و يشخص و إذا الأزهار و الأشجار ألسنة حديث و ثغور ابتسام، و إذا النسيم أنفاس نجوى وامتدادات آمال و إذا ابن خفاجة شاعر الفن و الجمال و شاعر الطبيعة الذي ينسج على أرفع منوال»[2]

---

(1)–حنا الفاخوري–الجامع في تاريخ الأدب العربي دار الجيل بيروت –لبنان–2005 م ص984

(2)–المرجع نفسه ص 985

فهو أكثر صدقا في الإثارة و في البناء و الصّياغة، فلم يتّخد الطبيعة لذاتها مكتفيا بوصفها و نقل محسوساتها الخارجية و ليس ذلك بمعجز له أو صعب عليه، و هو الشاعر القدير على النظم و الصّياغة، و لكنه «اتّخذ من الطبيعة بجزئياتها و مظاهرها و مفاتنها عنصرا مكملا و متداخلا مع أشياء أخرى. فلم يتخذها مسرحا، أو مكان للحدث، و إنما جعلها جزء منه، فأنطقها، و طبع عليها صفات إنسانية ومنحها حواسا بشرية» [1] و فيما يلي نتطرق إلى أهم موضوعات وصف الطبيعة للشاعر ابن خفاجة الأندلسي.

أ – وصف الرياض :

لقد اهتم شعراء الأندلس بالرياض و في التغنّي به، و ذكر مختلف صفاته فقد، «أشتهر بعض شعراء الأندلس بروضياتهم، و جعلوها معروضا لإظهار براعتهم و تفننهم بهم السبل–فابن خفاجة– ينهج نهجا خاصا يجعل من الروضة عادة حسناء، تتجسد في صورتها و هيئتها، إذ يجعل النور عقدها الصون سوالفها، و الجدع زبدها و الخليج سوارها»[2] يقول في ذلك:

وصقيلة الأنوارِ تلوي عِطفَها ريحٌ تلفّ فروعها معطار
عاطى بها الصهباءَ أحوى أحورٌ سَحّابُ أذيال السّرُى سحّار
والنَّورُ عِقدٌ والغصونُ سوالفٌ والجذعُ زَندٌ والخليج سوار
رقص القضيبُ بها وقد شرِبَ الثرى وشدا الحمامُ وصَفَّق التيار
غناء ألف عطفها الورق الندي والتف في جنباتها النوّارُ [3]

نلاحظ من هذه الأبيات بأن فن النوريات قد اشتهر بشكل واضح في بيئة الأندلس، و من أهم العوامل المساعدة أوفرة الأزهار، الرّخاء الاجتماعي، شغف الملوك بالنواوير، و شروح حياة اللهو

---

(1)–يوسف عيد،دفاتر أندلسّية في الشعر و النّثر و النّقد و الحضارة المؤسسة الحديثة للكتاب ط1، 2006 م. ص 53

(2)–فوزي عيسي، في الأدب الأندلسي،ص70

(3)–ابن خفاجة الديوان، تحقيق السيد غازي،ط 2، دار المعارف، الإسكندرية، 1979م. ص34

لقد شخص الشاعر في هذه الأبيات الأنوار، فتخيل امرأة تتعطر بعطرها الأخاذ ،و يحاول دمج الطبيعة بالإنسان عامة و بالمرأة خاصّة في جو عابق بالسعادة و الهناء والرّاحة، فرآها تتعاطى الخمر بين أزهار النوّار، و تبدو تلك الجارية الأخاذة ترتدي ثوبا طويلا ملامسا الأرض و هنا يظهر المثلث الذي لا يتجزأ عند شاعرنا، و الذي يتأسس على موضوع الطبيعة،المرأة ، و الكأس.

و في البيت الثالث توحدت نفس الشاعر مع الطبيعة، و جعلت من صورها أشخاصا حيّة تتمتع بمميزات إنسانية، قد جعل النور عقدا تزيّن بالمرأة عنقها كما رأى في الغصون شعر المرأة المتدلي و استخدم الجدع للزند كمصدر قوة و رأى في التفاف الزّهر كأنه سوار.

كما تبدو الطبيعة و كأنّها في حفل فنرى القضيب في حالة سكر، و قد بدا بالرّفض بعد شربة خمر الذي يزرع في النّفوس إحساسا بالنّشوة و نسيان الواقع المزعج، و يضيف الحمام جو الفرح للطبيعة بعنائه و كل حفل ينتهي بالتصفيق و قد صفقت أوراق الأشجار مهنّئة .

و في البيت الأخير عاد السكون إلى الطّبيعة بعد الحفل، و حان وقت النّوم، لذا استعارت الحديقة الورق الندي غطاءا لها، و التفّت في كل جنباتها النّوار.

و نلاحظ أن الشاعر أسقط إحساسه على الطبيعة، و مزج حالته النّفسية بالمظاهر الطبيعية و أضفى على الجماد بصفة إنسانية من خلال التشبيه:

(النّور عقد ، الغصون سوالف ،الجدع زند، الخليج سوار...) و الاستعارات:

(رقص القضيب ،شرب الثرى ،صفق التيار...) و الكناية: (سحاب أذيال السّرى)، و الجناس النّاقص (أحوى، أحورُ).

هذه القصيدة و إن كانت تتضمن في مظاهرها موضوعا بسيطا، فإن عمقها تحدّت عن جمال الطّبيعة و رقّتها، و كأن الشاعر ألبسها حلّته النفسية.

يقول : يابانة تعتمر فينانـة وروضـة تنفخ معطارا

للّه أعطافك من خوطة و حبذا نورك نوّارا

و في شعر الطبيعة عنده اتصال بين الموصوفات و بين نفس الشّاعر و عاطفته، و تمازج بين الكثير منها و بين رؤيته للكون وموقفه من الحياة، فالشاعر يتعاطف مع ما يصف و كثيرا ما ينقل للقارئ أحاسيسه بجزئياتها ووقائعها، و يجعل بعض معطيات الطبيعة سبلا إلى مشاركته وجدانه، و تصوّر ذاته و من ذلك قصيدته بعنوان: "وصف الجبل"

ب–وصف الجبل: برع –ابن خفاجة– في وصفه للجبل، و هو ليس وصفا تسجيليا أو تقريريا، و إنما وقفة تأملية ناجى فيها "الجبل" و خلع عليه أحاسيسه، و انصهر معه، و منحه صفات الإنسان، يقول [1]في ذلك :

وأرعنَ طماح الذؤابـة باذخ يطاول أعنانَ السماء بغارب

يسدّ مهبّ الريح عن كل وجهة ويزحم ليلا شهْبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنـه طوالَ الليالي مطرق في العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم لها من وميض البرق حمر دوائب

ففي هذا السيّاق تأتي وقفة –ابن خفاجة–أمام الجبل حيث أثار هذا الأخير كوامنه ، و رأى فيه صورة من ذاته ، فاتخذ صديقا يؤنس وحدته و لم يكتف بذلك ، بل خلع عليه عواطفه ، و أحاسيسه ،وامتزج امتزاجا تاما،فإذا هو ذلك الشيخ الوقور الذي يتحلى بعمامته السوداء ذات الذوائب الحمر.

و إذا يواجه العواصف و الرياح النكباء . و يقول [2] في ذلك :

ولاطم من نكب الرّياح معاطفي و زاحم من خضر البحار جوانبي.

---

(1)–ابن خفاجة، الدّيوان، ص215.

(2)–المصدر نفسه، ص ن

ومع ذلك فهو يبدو متماسكا ،شامخا، يطاول أعنان السّماء، يزاحم الشّهب بأكتافه، و كشف أن الجبل يبدو مثله مهموما ، متأملا في الوجود ، تشغله حقيقة الحياة،و الموت و المصير فيقول[1] في ذلك:

و أضحت اليه و هو أخرس صامت فحدثني ليل السرى بالعجائب
و قال ألا كم كنت ملـجأ قاتل و موطن أواه تبتل تائب
و كم مربي من مدلـج و مؤوب و قال بظلي من مطي و راكب

و يكشف لنا حديث الجبل عن كثرة من صور التناقض البشري، و يقوم عنصري(التضاد)، و (المقابلة) بكشف هذا التناقض، حيث يجتمع في رحابه الفاتك، الفاسق و العابد المتبتل، و يمر به المدلح و المؤوب، و يستروح بظله المطي و الرّاكب، و من هنا يبدوا التوحد بين الجبل و الإنسان في أكمل صوره.

ج–وصف الطبيعة في رحاب الثلج:

يصف –ابن خفاجة – الطبيعة في رحاب الثلج، و يأتي في ذلك بالصور الغريبة، فيتخيل الأرض ذات اللون الفضي عجوزا شمطاء، و يؤنس الأقحوان ، فيجعل له ثغورا باسمة لها ريق بارد من الثلج[2]

يقول[3] في ذلك :

لله ندمان صدق بات مصطلياً ناراً من القدَح الملآن تستعر
والأرض فِضّيّة الآفاق تحسبها شمطاء حاسرة قد مسّها الكِبَر
فكل نجد و وهد قد أطالّ بـه روض تجلّى بنور ما له ثمر
وللأقاحي ثغور فيه بـاسمة لها من الثلج ريق بارد خَصِر

(1)–المصدر السابق، ص216
(2)–فوزي عيسى، في الأدب الأندلسي، ص91.
(3)–ابن خفاجة، الديوان، ص372

وله ثلجية أخرى يصف فيها الثلج و قد غطّى وجه الأرض فأخفاه كالبرقع و التفّ به وجه النّقا، فبدأ كالمختبى، و قد اكسبت نواحي الغصون ببياض الثلج، و شبهها بالشعر الأبيض بعد أن يغزوه الشيب فيقول [1] في ذلك:

ألا فَضَلتْ ذيلَها ليلةٌ تجرُّ الربابَ بها هيدبـا

وقد برقع الثلجُ وجهَ الثرى وألحف غصنَ النّقا فاختبى

فشابت وراء قناع الظلام نواحي الغصون وهامُ الربّى

أما في هاته الأبيات فأراد أن يطلعنا بالميزة الفريدة التي يصنفها الثلج على الطبيعة حيث أنه جعل تغطيته لها بمثابة تغطية البرقع للمرأة التي تريد ستر جمالها و كذلك وصف جمال الثلج و هو يكسو التراب فيعطي للغصن لحنا شجيا.

(1)–المصدر السابق، ص21.

وصف القمر و مناجاته :

«يكشف نص القمر عن صورة أخرى من صور الشاعر التأملي للطبيعة و مخاطبتها على نسق جديد لم نعهده في الشعر القديم، و الجديد في هذا النص أن ابن خفاجة لم يصدر في رؤيته للقمر عن موقف وصفي جمالي، كما جرت عادة الشّعراء الدين صرفوا عنايتهم إلى وصف جمال القمر، ووجدوا مشاكله بينهم و بين جمال المرأة استدارة، اكتمالا و بهاءا [1]

وقد وقف–ابن خفاجة–في الخلاء أمام القمر، و أرهف كل حواسه و أنصت في إصغاء شديد إلى نجواه.

قال، و قد طلع القمر في بعض ليالي أسفاره، فجعل يطرق في معنى كسوفه و أقماره، و علّة أهلا له تارة و سراره و لزومه لمركزه مع انتقامه في مداره، معتبرا بحسب فهمه و استطاعته، معتقدا بأن ذلك معدودا في عبادة الله و طاعته، لقوله تعالى «إن في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب» آل عمران 190.

لقد أضحت إلى نجواك من قمر و بت أدلج بين الوعي و النظير [2]
لا أجتلي ملحا حتى أعي ملحا عدلا من الحكم بين السمع و البصر
وقد ملأت سواء العين من وضح ففرط السّمع فرط الأنيس من سمر
وقد جمعت إلى حسن محاورة حزت الجمالين من خير و من خير
وان صمت ففي مرآك عضة قد أفصحت لي عنها ألسن العبر

ففي هذه القصيدة استطاع ابن خفاجة أن يناجي القمر على نسق جديد فأشرك النّفس الإنسانية بسّر الطبيعة، و أدرك ما يسمى بحس الطبيعة ووجد في القمر عبرا كثيرة إن لم ينطق بلسان

---

(1)– فوزي عيسى،في الأدب الأندلسي ،ص190.

(2)–ابن خفاجة، الديوان.ص130

المقال، فقد عرضها على الواعين بلسان الحال. «و قد حاول شاعرنا أن يلتمس مجالا للوحدة و الفراغ و الصّمت الموحش، فحاول أن يصنع الصنيع ذاته مع القمر، لكنه عجز عن ذلك لكون القمر سماوي، و محاط بهالة من القداسة لم ينجح في وصفه الأمن خلال المناجاة الصّامتة»[1]

هـ- وصف الأنهار:

يقول [2] ابن خفاجة :

لله نهر سال في بطحاء أشهى ورودا من لمى الحسناء

متعطف مثل السوار كأنّه و الزهر يكنفه مجر سماء

و قد رق حتى ظن قرصا مفرغا من فظّة في بردة خضراء

و غدت تحف به الغصون كأنها هدب يحف بمقلة زرقاء

و الريح تعبث بالغصون و قد جرى فهب الأصيل على لجين الماء

في هذه الأبيات قام ابن خفاجة بوصف النهر و هو فشبهه و هو سائل في البطحاء بمثابة لعاب المرأة الحسناء ثم وصفه بالسوار الذي يزين خصر المرأة الضيق مثل القرص المفرغ تحت البردة التي تخفي تفاصيل جسدها.

و انتقل إلى تصوير لون النهر و قد انعكس عليه لون السّماء كزرقة عيون الحسناء، ثم عبّر عن هبوب الرّيح على صفحات النهر كأنها أصبحت فضة براقة و ليس هذا إلا تعبير من الشاعر عن شدّة تعقله بالطبيعة و عناصرها التي تمثل الرقة و الجمال.

ومما سبق نفهم أن ابن خفاجة قد وقف على مدى كبير في تصويره للطبيعة و استغلاله لعناصر الطبيعة و تمثيلها في شعره و هدا ما منحه ميزة خاصة لاسيما فيما يتعلق بأسلوب التشخيصي.

---

(1)–فوزي عيسى. في الأدب الأندلسي، ص 192.

(2)– ابن خفاجة الديوان. ص 356.

الفصل الثاني

الطبيعة في شعر ابن خفاجة المدحي

الطبيعة في شعر ابن خفاجة المدحـي:

ابن خفاجة المداح أقل وزنا وشأنا من ابن خفاجة الوصّاف و الغزّال، و يعتبر شاعر الطبيعة بامتياز حتى في شعره المدحي، فقد استعان بعناصر الطّبيعة لمدح ممدوحه، ففي قصيدته: "فصل الرّبيع وزنة المكاء" يقول:[1]

يانشر عرف الرّوضة الغنّاء و نسيم ظلّ السرحة العيناء

هذا يهبّ مع الأصيل عن الرّبا ارجا و ذلك عن غدير الماء

عوجا على قاضي القضاة غديه و شى زهر أو حلا أنداء

لو شئت طلت به الثّريا قاعدا و نثرت عقد كواكب الجوزاء

حيث مدح الشاعر في هذه القصيدة، قاضي القضاة شبهه بالطبيعة الضّاحكة فجعله كالنّسيم، ثم ذهب تعظيمه إلى جعله نبع المجد، بحيث أن المجد يأخذ مجده منه، و واصل تمجيده و تعظيمه حتى أوصله غلى أقصى درجات الرفعة فلامسّ السّماء، و النجوم و الكواكب.

وله قصيدة أخرى بعنوان "الملك الحبيب" مدح فيها أبا إسحاق ابن أمير المسلمين، فجعل فيها الصباح يضحك عند رؤيته و كذلك يلحمه كالضوء الذي يقوده. يقول[2] في ذلك :

يمثّل علاك من ملك حبيب عدلت إلى المديح عن النّسيب

و ساعدني فيك ثناء رطب كما سرت التحيّة من حبيب

لقد ضحك الصّباح بمجتلاه وراء الليل عن ثغر شنيب

تسئم بصفحتيه بروق بستر نعيد بشاشة الرّوض الجديب

لمجّ الرّيّ أنفاس المجاني به و مغارس العود السليب

ويحمل في جباه طود حلم تعدّ خلاله رمل الكثيب

---

(1)–ابن خفاجة ديوان، ص 16

(2)–المصدر نفسه ص51

لقد استعان ابن خفاجة بعناصر الطّبيعة لمدح أبي إسحاق بن أمير المسلمين و يقصد الشّاعر في هذه الأبيات بالنسيب "الغزل" فهو يمدحه عوضا عن تغزّله، يمدحه بأنه عالي النسب و الحسب، جميل المنظر بهي الطّلعة و أن طلعته تجعل الصباح يسر برؤيته و كذلك أن بسمته تعيد البشاشة إلى الرّوض الجديب فشبهه بالأرض اليابسة حين تصبح مخضرة و له قصيدة أخرى بعنوان "سيف الملك" يقارن فيها بين الطبيعة الضاحكة و مخلوقاتها و يبين الممدوح يقول [1] في ذلك:

ولا الرّوض عن القطر فضّضه النّدى و رجع فيه طائر فتكلّما

بأطيب أفياء و أنظر صفحة و أعطر أخلاقا و أحلى ترنّما

إن ابن خفاجة لم يتخل في أي قصيدة من قصائده عن ذكر الطّبيعة و عناصرها فهو يستمد ألفاظه منها و يسقطها للممدوح كالشّمس و القمر و النّجوم، و الكواكب و الرّياح و المطر و الغيم و النّسيم و المراعي.

والشّواهد الشّعرية كثيرة على ذلك، فهو لم يوظّف صفة مدحية، إلاّ و كانت متعلقة أو مشبّهة بالطّبيعة.

---

(1)– المصدر السابق ص (301)

الفصل الثالث

مظاهر الطبيعة في غزله.

أ- الماء

ب- الخضرة و الأزاهير

ج- الريح

د- الليل و الصباح

الغزل و الطبيعة:

يعد هذا الغرض من أهم أغراض الشعر الأندلسي و كان لطبيعة الأندلس الأثر الحاسم في جعل هذا الغرض من أشهر أغراض الشعر الأندلسي، و تمثل طبيعة الأندلس، الملهم الأول لشعراء الأندلس، خاصة أن مجالس الخمر و اللهو و الغناء كانت تقام في أحضان هذه الطّبيعة، و كانت هذه الأخيرة مسرحا لغرام الشعراء و الأم الرّؤوم التي تحتضن حبهم و تشاركهم أفراحهم و مسرّاتهم، فالمرأة في الأندلس صورة من محاسن الطبيعة، و الطبيعة ترى في المرأة ظلها و جمالها فوصفوها بالجنة و الشّمس بل إنهم «إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدودا و من النّرجس عيونا و من قلوب اللّوز و سرر التّفاح مباسم، و من السفرجل نهودا، و من قصب السّكر قدودا، ومن إبنة العنب رضابا » [1]فالنسيب العاطفي لا يكاد يذكر إلا من خلال الطّبيعة «لأنها الإطار البديع لصور اللّقاء والسّمر، فعلى ضفاف الأنهار، و مشتبك الأغصان و في اللّيلة القمراء، و مع النسيم الهادي الوثير يحلو نناجي الأرواح وتهامس الأفئدة و امتزاج النفوس»[2]

مظاهر الطّبيعة في غزله:

إن مظاهر الطّبيعة هي البريد الأمين الذي ينقل عن المحب لواعجه و أحاسيسه «فالرّشاش المتقاطر، الشغف الوردي، و الدر المتجمد في أغالب الغصون، و لنفحات الزهور، و اختلاج المياه زهور عاطفية تكشف عن معاني حبيسة في نفوس العشّاق و ما أفصحها من رموز كشافة الإحساس و تنقل الحروف بدون معان أو كلمات»[3].

و وصف الطبيعة عند الشّاعر مرتبط ومتصل بالخمر و الغزل ارتباطا وثيقا و مجالس الغزل والخمر لا تعهد إلّا في أحضان الطّبيعة.

و نتطرق فيما يلي إلى أبرز موضوعات الغزل و الطّبيعة عند ابن خفاجة.

---

(1)– أحمد المقري بن محمد التلمساني،نفخ الطيب تحقيق الدّكتور إحسان عبّاس بيروت، دار صادر 1968 ص(1)

(2)–محمد رجب البيومي الأدب الاندلسي بين التأثير و التاثير، الدار العربية للكتّاب 2008 ص(73)

(3)–المرجع نفسه ص.ن

أ-**الماء:** تشغل الطّبيعة شعر ابن خفاجة بجميع ما تعرّض له من مظاهر حسنها و نضارتها و زينتها وحلاها، و أصباغها و ألوانها، و أبرز ما أخذ من عناصر الطّبيعة في غزله "الماء" فشعر ابن خفاجة على الإجمال كثير الماوية رطب، فيصف الحبيبة متغزلا بها، و بجمالها فيقول [1]:

فعكّرت من ماء الصّباح غلالة تندى و من شغف السماء نقاب

في حديث للرّيح الرّخاء تنفس أرجٌ و للماء الفرات عباب

و لربّ عقن الجسم مدّ بخوصه شبحا كما شن السّماء شهاب

و إذا وصف لوعته و شوقه للحبيب كان للماء دور مهم في إيضاح الصّورة و تجسيدها، فيقول في قصيدة يصف فيها نفسه قبل قدوم الحبيب إليه و قد انهمرت دموعه شوقا:

ازددت من لوعتي حيالا فخن من غلبتي شرابا [2]

و بين جفني بحر شوق يعبّ في وجني عبابا

و قال :

فكاد يشرب نفسي و كدت أشرب خدّه

فالماء هنا هو ذات الغاية ، و الشّرب كفاية عن امتلاك هذه الغاية ، بإشباع اللّذة و التمتع بالحبّ، فالماء يطفئ النّار المتأججّة في القلوب لتصبح هي ماء الحياة ، هي الحبيب بذاته و قال في أحد قصائده:

ألم يسقيني حسلافة ريقة و طورا يحييني بأسي عدار [3]

قبلت مرتدّ النفس من أقحوانه شممت عليها نغمة لعرار

و الطبيعة تشارك ابن خفاجة في حزنه و فرحه فتأخذ الطّبيعة بكافة عناصرها مع الموصوف،

---

(1)-ابن خفاجة. الديوان ص 218.

(2)-المصدر نفسه ص 310.

(3)-المصدر نفسه ص62

لتصبح الحبيبة هي الطّبيعة جملا، حسنا، و أنوثة، فيقول:

و سال قطر الدّمع في حدّه فرق روض السّن ممطورا [1]

ب- الخضرة و الأزاهرة:

من يتصفح ابن خفاجة القدح منه رائحة الأزاهير، و يعرف في غمرة الألوان و يطير في فضاء من الخضرة و الأشجار و الروض و الغدير. فالنرجس و الأقحوان و الطيب و غيرها عطّرت جو الغزل و الوصف أيضا.

يقول :

غار لنا جفن هناك كنرجس و ميسم للأقحوان شنيب [2]

و إذا وصف المرأة و تغزل بها و كأنه يصف الطبيعة.

فتق الشباب بوجنتيها وردة في فرع أسلحة تميد سباب [3]

وضحت سوالف جيدها سوسانة وتورّدت أطرافها عنّابا .

و أفضل ما قاله في الطّبيعة [4]:

وجنيت روضا في قناعك أزهرا و قضيت بان في وشاحك أثمرا

ثم انثنيت و قد لبست مضدلا و طوبة في خلع الظلام معتبرا

و الصّبح محطوط النّقاب قد اجتبى في شملـة و ريبة فتأزّرا

و في هذا الصدد نلمح أن حضور عناصر الطبيعة جلي، في أبياته هاته، و ذلك من خلال توظيفه لألفاظ تدل على الطبيعة و صفاتها، و هذا يدل على تاثيره البالغ بما تحويه الطبيعة، فقد ضمن شعره ببعض المفردات مثل: الروض الزهر، الثمر، الظلام، الصبح و هذا الترظيف علامة على فتنته بالطبيعة.

---

(1)-المصدر السابق ص115

(2)-المصدر نفسه ص93

(3)-المصدر نفسه ص215

(4)-المصدر نفسه ص82

ج- اللّيل و الصّبح :

بعيدا عن عيون المبغضين و الحاسدين و الكاشحين و الأعداء، فالغزل الخفاجي مسرحه الليل حيث اللّهو و الخمر و المجون، و كلما ذكرنا في بحثنا سابقا بأن ابن خفاجة له مثلثه الخاص هو الطبيعة، الحمرة، و المرأة فيقول [1]

نادمتها ليلا و قد طلعت به شمسا و قد رق السّراب سرابـا

وترنمت حتى سمعت حمامـة حتى إذا خسرت زجرت عزابا

ورب ليلـة سهرت فيـه أزجـر من جنحة نكابـا

حتى إذا اللّيـل مال سكرا و شق يسيربـاله وجابـا

والليل زينته عينا الحبيبة و خدّاها، فهو كالثغر في وجه اللّيل يقول ابن خفاجة في أحد قصائده:

واللّيل ستر دوننا مرسـل قد طرزناه أنجم حمـر [2]

أبكـى ويشجنـي ففـي وجنتي ماء وجنته حمر

و بات يسقينـي تحت الدجى مشولـة يمرجها القطر

و استمرت عن وجهة ليلة كأنّه في وجهها ثغـر

فصورة الليل تتكرر في معظم قصائده الغزلية، و تكاد جميعها تتشابه و تقترن بصورة الصباح، فلا نفرق بين الأبيض و الأسود إلا حسيا، و ذلك فإن ابن خفاجة كان في غزله وصفيا بعيدا عن الخيال الجامح قريبا من الفطرة ميالا إلى المحسوس المعيش.

---

(1)–المصدر السابق ص21

(2)– المصدر نفسه ص 43

الفصل الرابـــع

خصائص شعره في وصف الطّبيعة

خصائص شعره في وصف الطّبيعة :

1 – تفنّن في الموضوعات و تنوع: البيئة المترفة، القصور و البرك، الفن و البحر يقول في ذلك:

ولجة تغرق أو تعشق فاتتني احشاؤها تخفق[1]

يسير فيها سائر هاجها من الصبا مزبده بقلق

و يقول :

يا أهل الأندلس للّه ذركم ماء و ظلّ و اشجار و أنهار [2]

ماجنة الخلد إلاّ في دياركم و لو تخيرت هذا كنت أختار

2 – مزج قوي بين جمال المرأة و جمال الطّبيعة «إنّه إذا تغزل صاغ من الورد خدودا، و من النّرجس عيونا»

يقول في ذلك :

غازلنا حفن هناك كنرجس و مبتسم للأقحوان شنيب [3]

3 – الطبيعة عند ابن خفاجة ضاحكة طروب، هي مسرح للهو،و مقتضب للشّراب و لذا فقد هتف ابن خفاجة ، بالخمر، في جوّ الطّبيعة كما تبين ذلك في متن البحث و يقول:

أما و مسيل ماثل الغيث كالسّطر كما انزع السّاقي الزّجاجة بالخمر [4]

فمن عارض يسقى و من سقف مجلس يغنى و من بيت حميل من السّكر

وقال أيضا:

---

(1) ابن خفاجة ديوان ص37

(2)–المصدر نفسه ص62

(3)–المصدر نفسه ص80

(4)–المصدر نفسه ص99

ولا غروان تروى بها عن ناظر و باطنها ماءٌ و ظاهرها خمر [1]

تعلقته نشوان من خمر ريقة له رسمها دوني و لي دونه الشّكر

4-الاهتمام بالأوصاف الحسّية، و المظاهر الخارجية على العناية بالجزيئات كالزّهرة و النّسمة يقول في ذلك:

لو حمل اللّيل حسن رهمته امتنع طرف المحبّ بالسّهر [2]

و مثل شكري على تقيله يجمع بين النّسيم و الزّهر.

و يقول أيضا :

وتعتزعن بشر هناك زهرة و يهفو له من معطفي قضيب [3]

5-عدم التعمق في الفكرة، و اعتناء بلطف الإخراج، على غزارة في الصّور و الألوان. يقول:

أسود و أبيض فعله كرما فالتفت الحسن فيه عن حور [4]

كأنّه و النفوس تعشقه مركّب من محاسن الصّور

و قال يضا :

حتى تشيت غصنا و اصفّرت الشمس نقرة [5]

وارتد للشّمس طرف به من السقم فتره

يجول للغيم كحل فيه و للقطر عبرة

---

(1)-المصدر السابق ص100

(2)المصدر نفسه ص301

(3)-المصدر نفسه ص420

(4)-المصدر نفسه ص140

(5)-المصدر نفسه ص123

6- تعلق -ابن خفاجة- بيئته الطبيعية، و هيامه بها هياما مبالغا، حيث بلغ حدّ الحلولية، إذ أن الطبيعة شكّلت حضورا في معظم إبداعاته الفنّية حتى تشّطى معجمها في مختلف الأغراض من غزل و رثاء، ووصف و مدح، و بلغ هذا التمازج بين الشاعر و الطبيعة مرتبة التشخيص و أنسنة.

يقول في ذلك :

كتبت و قلبي في يديك أسير يقيم كما شاء الهوى و يسير [1]

و في كل حين من هواك و أدمعي بكل مكان روضة و غدير

و قال في الرّثاء:

في كل ناد روض ثنـاء و بكل خدّ فيك جدول مـاء [2]

ولكل شخص هزة الغصن الندي عن البكاء و رنة المكـاء

فعريت الأمن قناع كآبـة وعطلة الأمن حليّ بكـاء

في المدح :

بمثل علاك من ملك حسيب عدلت إلى المديح عن النّسيب [3]

تشمّ بصفحتيه بروق بشر تعيد بشاشة الروض الجديب

تمتد الريّ أنفاس المجانب بـه و مغارس العود السليب

و في الوصف :

يا هزة الغصن الوريق و بشاشة الروض الأنيق [4]

أتتكما بشرة بسق يا أم سـلام من صديق

---

(1)-المصدر السابق ص77

(2)المصدر نفسه ص39

(3)-المصدر نفسه ص220

(4)-المصدر نفسه ص340

7- شكلت المرأة عنصرا من محاسن الطبيعة لذا كانت الطبيعة عند ابن خفاجة روضا وحنة و شمسا و هكذا كانت العلاقة شديدة بين جمال الطّبيعة و جمال المرأة.

و يقول في ذلك:

أطل وقد خط في خده من الشعر سطر دفين الحروف [1]

فقلت أرى الشمس مكسوفة فقوموا نصلي صلاة الكسوف

8-نحد لدى ابن خفاجة تجاوبا نفسيا مع عناصر الطبيعة المختلفة ، يقول مثلا :

و قال :

ألا كم عنه ملجأ فاتك و موطن أواب تبتل تائب [2]

و كم مربي من مداح و مؤوب و قال بضلي من مطي و راكب

9- شعره كما ذكرنا سابقا يعني بتشخيص الطبيعة و تصويرها على نحو إنساني تملؤه الحركة و النّشاط.

و يقول:

ملا العيون بصورة دلت محاسنها يور [3]

فإذا رنا و إذا مشى و إذا شدا و إذا سفر

فضح الغزالة و الغما مة و الحمامة والقمر

و ما تقدم نخلص إلى أن شعر ابن خفاجة تميز بجملة من الخصائص التي جعلت شعره متفرّدا و متميزا و نموذجا يّحتدى في مجال وصف الطبيعة.

---

(1)-المصدر السابق ص45

(2)-المصدر نفسه ص216

(3)- المصدر نفسه ، ص 450

الخاتمـــــة

الخاتمــة

بعد دراسة موضوع شعر الطبيعة عند ابن خفاجة الأندلسي توصلنا إلى النتائج الآتية :

يعد ابن خفاجة بحكم النقاد و مؤرخي الأدب العربي من شعراء الطّبيعة، تفاعل مع الطبيعة الأندلسية وتأثر بها، شاطرها همومه و أشجانه، و قاسمها مشاعره و أحاسيسه، فاستعان بصورها و قاموسها و ألفاظها، في شتّى أغراضه الشّعرية.

لم يتخذ الطّبيعة لذاتها مكتفيا بوصفها، و نقل محسوساتها الخارجية كما لم يتخذها مسرحا، أو مكان للحدث، و إنّما جعلها جزءا منه، فأنطقها و طبع عليها صفات إنسانية.

و رأينا أنّه لم يتخلّ في أيّة قصيدة من قصائده عن ذكر الطّبيعة و عناصرها فهو يستمد ألفاظه منها، و الشّواهد الشعرية كثيرة على ذلك أشرنا إلى ذكر البعض منها في ثنايا البحث.

لقد صبغ قصائده بلونه الخاص النّابع من الطّبيعة الأندلسية، فوصف الطبيعة بجميع مظاهرها و مباهجها، و وصف الطبيعة الصّامتة و المتحركة، برياضها و أشجارها، و أزهارها و أنهارها، و جبالها، ومفاوزها، و سمائها، و نجومها وما يتصل بذلك كلّه من نسيم و رياح و أمطار، كما أنّه وصف الطبيعة الحيّة أيضا كالفرس و الذئب، و بعض الطيّور.

كانت قصائده بارعة الرّسيم أنيقة الألوان، محكمة الظّلال، تشدّ انتباه القارئ و تثير اهتمامه، فقد كانت الطبيعة مستولية على حواسه، و لم يستطع أن ينساها حتى في أغراضه الأخرى.

و يتراوح أسلوب المدح بين الجزالة و السّهولة، و الفخامة و الرّقة، وفقا لطبيعة المعاني المعبّر عنها، و لكنّه بوجه عام، يميل إلى التأنّق في العبارة و الصّياغة، أو بمعنى آخر الألفاظ فقصائد ابن خفاجة المدحية جاءت بليغة التأثير شديدة التصوير و تميزت اللّغة بالرّقة محاطة بالاستعارات و الصّور.

أما الغزل (النسيب) فهو أهم الأغراض التي عالجها ابن خفاجة أيضا، و أوضح سماته، تلك الرّقة في العواطف المعبّر عنها في رقة البيان و كان للحياة الأندلسية دور ايجابي في طبيعة شعر الغزل، فغزل ابن خفاجة عذريا في بعض شعره، و حسيا في بعض نماذجه، يقف عند حدود الوصف المّادي مستعيرا أوصاف البيئة حوله و أجمل ما في غزل ابن خفاجة بجانب لطف التعبير، أن الصادق منه شديد التأثير خاصة عندما يبكي و يحن في إيقاع غير متكلّف.

قائمـــة المصـادر و المراجـع

قائمـــة المصـادر و المراجــع:

- **القرآن الكريم**

أ - المصـادر :

1 -ابن خفاجة، الديوان، تحقيق السّيد غازي ،ط2، دار المعارف، الإسكندرية، 1979م

ب - المراجــع :

1-أحمد الزيّات، تاريخ الأدب العربي، ط26، دار الثقافة بيروت.

2-جودت الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، الطبعة 2 مطبعة الشرقي بدمشق 1970م

3-حنّا الفاخوري الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل ، بيروت، لبنان، 2005م

4-شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في النثر العربي ،د.ط القاهرة، دار المعارف، 1960م

5- عصر الدولة والإمارات في الأندلس، د.ط دار المعارف، 1983م

6-فوزي عيسى، في الأدب الاندلسي، دار المعرفية الجامعية للطّبع و النشر و التوزيع، 2009م

7- الشعر الأندلسي، في عصر الموحّدين، دار المعارف لدينا الطباعة و النشر و التوزيع ، الاسكندرية، 2007م

8-محمّد رضوان الداية، ابن خفاجة،ط1، دار قتيبة للنشر و التوزيع، 1972م

9-يوسف عيد، موسوعة الحضارة العربية لعصر الأندلس، ط1، طرابلس، 2006م

فهرس الموضوعات

مقدمــة ..... **ص أ–ب–ج**

مدخـل **ص.1–2**

الفصل الأول : الطبيعة في شعر الوصف **ص3–12**

- وصف الطبيعة في شعره ..... **ص 5**

أ–وصف الرّياض ..... **ص 6–7**

ب–وصف الجبل ..... **ص 8**

ج–وصف الطبيعة في رحاب الثّلج ..... **ص 9–10**

د–وصف القمر ..... **ص 11**

هـ– وصف الأنهار ..... **ص 12**

الفصل الثاني : الطبيعة في شعر ابن خفاجة المدحـي .....**ص 13–14**

الفصل الثالث :الغزل و الطّبيعة ..... **ص 15– 18**

*مظاهر الطّبيعة في غزله ..... **ص 15**

أ– المـاء ..... **ص 16**

ب–الخضرة و الأزاهير ..... **ص 17**

ج–اللّيل و الصّبح ..... **ص 18**

الفصل الرابـع : خصائص شعره في وصف الطّبيعة.....**ص 19–22**

خاتمــة ..... **ص 23–24**

قائمــة المصـادر و المراجـع ..... **ص 25**

فهرس الموضوعات .....**ص 26**